مذكرات من أعماق جزيرة زنجبار



محمد بن أحمد الشيخ بالحاج

قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج

هدية إحتاء وتقدير إلى أخي الكريم

الأستاذ محمد امسايس

الجزائر / 23/7/2001 المؤلف

مذكرات من أعماق جزيرة زنجبار

منشورات التبيين/الجاحظية
سلسلة الدراسات
الجزائر 1422-2001

ردمك: 9961-46-3-024
رقم الإيداع القانوني: 2001-1116

إنجاز الجاحظية
8 شارع رضا حوحو الجزائر 16000
هاتف/فاكس: 021 633420
موقعها بالأنترنات: Http://www.aljahidhiya.ass.dz
البريد الإليكتروني: aljahidh@wissal.dz

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهـــداء

- إلى كافة الشعب التنزاني... وإلى المسلمين منهم خاصة
- إلى المشايخ والأساتذة والأحياء القائمين على التمكين للإسلام وإصلاح المجتمع في زنجبار وتنزانيا.
- إلى أهالي الجزيرة الخضراء وبلدة تشكتك، الذين جمعتني بهم عشرة ومحبة.
- إلى طلبة معهد الاستقامة، الذين يعلق فيهم آمال المستقبل القريب.
- إلى كل مسلم يؤمن بفطرة الاختلاف ويرى فيها تنوعا وثراء ورحمة وقوة.
- إلى كل مؤرخ يرى في المذكرات منبعا أصيلا وصادقا لتدوين تاريخ الأمم والشعوب.

قاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومحمد وعلى أله وصحبه

ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين

شاءت لي الأقدار خلال سنة 1420هـ/ 1999م أن أحمل رحالي من بلدي الجزائر وأحط بها في جزيرة زنجبار من دولة تانزانيا للعمل هناك مدرسا في معهد الاستقامة للدراسات الإسلامية. وقد دامت إقامتي بين أحضان هذا المجتمع المسلم فترة نصف سنة من الزمن.

خلالها أتاحت لي الظروف الاطلاع عن كتب على واقع هذا المجتمع، والمشاهدة رأي العين لأحوالهم المعيشية والمعاينة لاهتماماتهم الاجتماعية. كما أتاح لي عملي الاحتكاك بمختلف شرائح المجتمع والاختلاط بمختلف طبقاته المتعلمة منها والعامة، الغنية منها والفقيرة، الموظفة منها والعاملة في ميادين التجارة والحرف والصناعات.

بواسطة هذا الاحتكاك والتعايش تكوّنت لديّ صورة عن أعماق هذا المجتمع ونظرته للحياة من مختلف جوانبها، هذا ما جعلني أفكر مليا وبصفة جدية بعد استشارات بعض الإخوان أن أغتنم هذه الفرصة وأهتم بكتابة وتدوين شيء عن تاريخهم.

وفعلا فإن الفكرة انطلقت هكذا بسيطة، لكن مع مرور الأيام تخمرت لديّ أكثر وبدأت تأخذ أبعادا أخرى وتشهد نضجا وتبلورا جديدا في ذهني، حيث ارتأيت أن أكتب شيئا أجمع فيه بين ما كان لهذا

البلد من أحداث في التاريخ وأركز أكثر على ما هو يحياه ويعيشه في الوقت الحالي.

وبذلك يكون هذا العمل شاهدا على مجتمع في فترة متقدمة من تاريخه المعاصر، هذه النتيجة التي اقتنعت بها وتبلورت بوضوح لديّ جعلت مني لزاما أن أهتم بتحرير مذكراتي اليومية، التي كان مدار أحداثها بين عملي في المعهد كأستاذ ومشرف على طلبتي، وبين الانشغالات الأخرى المتمثلة في اللقاءات المتبادلة مع أهالي البلد، والزيارات والجولات والرحلات التي كانت تنظم من فترة لأخرى إلى أطراف الجزيرة.

كما سيلاحظ القارئ الكريم أني أوليت الاهتمام في مذكراتي هذه بفئة من المسلمين داخل هذا البلد وأقصد بذلك الإباضية، وفعلا فإن هذا صحيح وهو مقصود، لأن عملي منصب أساسا على إبراز خصوصيات الجماعة الإباضية ودراسة واقعهم وأحوالهم الاجتماعية.

وليست هذه النظرة ذات منطلق عنصري أو تعصبيّ، وإنما منطلقها جاء من تخصصي، فبحكم أن عملي وعيشي كان ضمن هذا الوسط أكثر من غيره، وبحكم اهتمامي بدراسة هذا المذهب وأتباعه انصبت كتاباتي عليه.

وأشير أن الكثير من الظواهر الاجتماعية التي تطرقت إليها في هذه المذكرات لا تختلف جوهرا بين الطوائف المسلمة في زنجبار. وأن جوانب كثيرة من حياة هؤلاء الناس لا علاقة لها بالمذهبية ولا اعتبار فيها للجنس أو العرق.

وأنا أرجو من خلال كتاباتي هذه أن أكون واقعيا وواصفا بحق دون زيادة ولا نقصان ولا مبالغة لما عايشته وعرفته وفهمته من

أحداث ووقائع.

كما أرجو بهذا العمل أن أضع بين يدي القارئ الكريم والمسلم خاصة صورة حقيقية لحياة هذا المجتمع فأعرفه به وأحدّد معالمه بوضوح.

كما أرجو أن يكون هذا العمل دافعا ومساعدا وموجها لأبناء هذا البلد والرجال القائمين عليه للاستفادة منه واستخلاص العبر من شاهد على مجتمعهم عاش بينهم فترة من الزمن وسجل رأيه فيهم وأعطى تفسيراته ونظراته حول تفاعلهم مع الحياة وتوظيفهم للزمن.

كما أرجو أن يكون هذا العمل معـلَما يقف شاهدا على نهاية هذا القرن وأمام أبواب القرن القادم ينتفع به الأجيال القادمة واللاحقة، التي تستطيع أن تطلع منه على ما كان عليه سلفهم في هذه الحقبة من الزمن، فتستطيع أن تقارن نفسها وتقيمها وتعلم أين هي منهم في دائرة الحضارة والتغير الاجتماعي في مختلف أبعاده، فتخطّ لنفسها السبيل الأمثل والأصلح الذي ينبغي اتباعه.

كما أرجو أخيرا من هذا العمل أن أكون مسهما في تقديم شيء من المادة العلمية حول تاريخ زنجبار، وبذلك أفيد إخواني من الأساتذة والباحثين من أبناء هذا البلد وغيرهم ممن سيهتم بمواصلة مسيرة التأريخ والدراسة المتعلقة بهذا البلد المسلم.

والله من وراء القصد. وأسأله التوفيق والقبول.

قاسم أحمد الشيخ بالحاج

الجزائر في: 11 محرم 1421هـ/ 16 أفريل 2000م



خريطة موضحة لمحافظات دولة تانزانيا وزنجبار

الرحلة إلى زنجبار
من الفكرة إلى التجسيد

إرهاصات الرحلة:

لقد كان بدء التفكير في السفر إلى زنجبار لغرض التدريس لأول مرة لديّ في مطلع شهر نوفمبر 1998م، يومها كنت في وارجلان مدرسا في إحدى مدارسها الرسمية الابتدائية. حيث بدأت الاتصالات مع الشيخين الناصر مرموري وصالح حدبون في القرارة بوادي ميزاب، المشرفين على هذا العمل. وقد كان الفضل لعميّ الشيخ محمد الشيخ بالحاج الأستاذ في معهد الحياة؛ الذي عرض عليّ الأمر لأول مرة وكان الواسطة بيني وبين الشيخ الناصر.

يومها شعرت برغبة شديدة في تحقيق هذه التجربة ميدانيا، كما وجدت قدرة غريبة على الاستعداد لهذه المغامرة الصعبة فعلا، وفي حقيقة الأمر كانت هنالك دوافع وأسباب عديدة زرعت فيي هذا الاستعداد، أهمها انفراج واجب الخدمة الوطنية، الذي جعلني أقطع عملي في العاصمة لغرض أدائه لكن الله تعالى أراد لي غير ذلك فتحصلت على الإعفاء، ولعله تعالى كان يُهيِّئ لي الظروف لهذه الرحلة من حيث لا أشعر.

فكان مني أن أقنعت نفسي أنه قد وفرت سنة ونصفا من الزمن لذا فلا حرج أن أغامر فيه بهذه التجربة، كما أن حبّي الجامح للاطلاع على هذه البقاع التي قرأت بعض الشيء عن تاريخها في أيام خلت؛ كانا لهما أثرهما في اتخاذي لهذا القرار الذي أراه ارتجاليا شيئا ما.

استمرت الاتصالات مع الشيخ الناصر لغرض ترتيب الأمور وإحضار الأوراق الإدارية اللازمة للسفر. وقد كنا في بادئ الأمر أربعة نفر هم الاخوة رمضان ضبري، وعبد الحميد بن عمر ، ويوسف كريزو والمتحدث. وكل منا أحضر ما طلب منه من الوثائق.

شاءت الأقدار أن يتأخر اثنان حالت ظروفهما الاجتماعية دون تحقيق ما عزما عليه ورغبا فيه، وبقيت مع الأخ يوسف.

في حقيقة الأمر أن موعد سفرنا تأجل أكثر من مرة بسبب تأخر قدوم تأشيرة الدخول إلى تانزانيا من الجماعة المسؤولة هناك. وأخيرا في منتصف شهر رمضان من العام الهجري 1419 وفي الأيام الأولى من شهر جانفي وصلت التأشيرة عن طريق الفاكس فكانت إيذانا بالاقتراب الحقيقي للموعد. فشرعنا مباشرة في تحديد تاريخ السفر وحجز الأماكن في الطائرة.

أحداث الرحلة:

كان موعد الانطلاق في تاريخ الجمعة 10 شوال 29/1419 جانفي 1999م، ففي صباح ذلك اليوم كانت وجهتي نحو مطار هواري بومدين الذي وصلته في حدود الثامنة والنصف، حيث وجدت الأخ يوسف كريزو قد سبقني، قمنا بكل الإجراءات القانونية اللازمة، وفي

اللحظات الأخيرة قبل صعودنا الطائرة وفي آخر مواقف التفتيش والمراقبة مُنع الأخ يوسف من صعود الطائرة بسبب عدم إحضاره لوثيقة الخدمة العسكرية. فتأجل سفره مدة أسبوعين، ليلتحق بي بعد مضيهما.

شاءت الأقدار أن أصعد الطائرة وحيدا مع ربيّ الذي سخر لي من أول وهلة إنسانا متعلما ومتمرسا على الأسفار الخارجية كان في رحلة تجارة إلى مصر، جلسنا متجانبين وتعارفنا وتبادلنا أطراف الحديث حول عدة قضايا وطنية وعالمية، وأفادني كثيرا بتجربته وخبرته فيما يتعلق بالإجراءات داخل المطارات وما ينبغي أخذ الحذر والحيطة منه أثناء الأسفار خارج الوطن.

مطار القاهرة:

مرت الرحلة بين الجزائر والقاهرة في سلام وأمان، نزلنا مطار القاهرة الدولي بعد ثلاث ساعات ونصف من الطيران في الجو. نزلت القاهرة لأول مرة في حياتي في حدود الساعة الثانية ظهرا بتوقيت مصر، الواحدة بتوقيت الجزائر.

بعد إجراءات المراقبة توجهت برفقة جمع من المسافرين إلى منطقة العبور، وفيها التقيت مع أناس من مختلف بقاع العالم، كل يتكلم لغته وكل يرتدي زيه، وكل يعبر عن حضارته وخصائصه الخُلقية والخَلقية.

اغتنمت هذه الفرصة للتعارف مع عدد من المصريين واللبنانيين والسوريين والأفارقة عرفت من خلالهم أحوال بلدانهم، كما كان

لبعضهم أسئلة عديدة عن حال الجزائر وما يحدث فيها من أعمال عنف وتقتيل وتخريب، وعن واقع اللغة العربية في الجزائر، وكم كان استغرابي كبيرا من التصور الذي وجدته لدى المشارقة عنا، ففي دهنية كثير منهم أن الجزائر لا تزال قطعة من فرنسا في ثقافتها ولغتها. ولا أنسى تلك الدهشة التي لمحتها على محيّا أحد الأساتذة الجامعيين المصريين عندما سمعني أتكلم معه بعربية فصيحة، لم يكن يخطر على باله أن الجزائريين بمقدورهم النطق بها.

مكثت في المطار عشر ساعات كاملة، ولا أنسى أن أعبر بكل صدق عمّا وقفت عليه عيناي في هذا المطار الدولي -بأتــم معنى الكلمة- من وسائل الإقامة والنظافة والاستقبال، ومصلى للصلوات الخمس وصلاة الجمعة يرفع فيها الأذان حين يحين وقت كل صلاة، ومن الغريب أن مَن يؤمُّه إلى جانب المسافرين الضباط العاملين في المطار بمختلف رتبهم السامية، ولعلّ هذا ما يقل مشاهدته في الجزائر.

كما أنه خلال تواجدي فيه عرفت بصدق أن القاهرة قلب للعالم وبوابة له وأن مصر بحوزتها أسطول جوي ضخم، فالطائرات تنطلق منه إلى كل أرجاء العالم وتحط فيه من كل أرجائه كذلك، ابتداء من جنوب أسيا وإفريقيا إلى شمال أوربا وروسيا وكندا ووسط وجنوب أمريكا. كما أن الحركة فيه غير منقطعة ليلها كنهارها.

غادرت القاهرة في حدود الساعة الثانية والنصف صباحا من يوم السبت مع ركاب من جنسيات مختلفة؛ عرب وهنود وألمان وأنجليز وأفارقة، وكنت الوحيد من الجزائر. وهنا بالذات بدأ الإحساس لدي

بمعنى الوطن ومعنى أخوة الدين وأخوة العرق. وبدأت أعرف وأشعر حقيقة بمعنى الغربة والاغتراب.

بعد أربع ساعات ونصف من الطيران في هذه الطائرة الحديثة الصنع والمجهزة هي كذلك بأحدث ما أنتجته التكنولوجيا في هذا الميدان من وسائل الراحة والاستمتاع بالرحلة.

شاهدت بزوغ الشمس من علٍ فوق السحب العابرة، فكان أن نزلنا مطار مدينة كمبالا عاصمة أوغندا المطلة على بحيرة فكتوريا راسمة أروع وأبدع صنع الله تعالى في التقاء اليابسة بالبر في بساط كله اخضرار محاط بزرقة البحر والسماء. هذا بعد أن مررنا فوق كل التراب الشاسع لدولة السودان.

كان هذا المطار محطة للطائرة لينزل منها بعض المسافرين ويصعد آخرون، ثم لتستمر الرحلة من جديد -بعد توقف ساعة من الزمن تقريبا- متجهة إلى مطار دار السلام العاصمة التانزانية.

الوصول إلى دار السلام:

كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحا من يوم السبت 11 شوال 30/1419 جانفي 1999م، بتوقيت دار السلام، الثامنة صباحا بتوقيت الجزائر عندما نزلنا المطار بعد أن حلقت بنا الطائرة على مشارف المحيط الهندي الذي تشاء لي الأقدار أن تكتحل عيناي برؤيته لأول مرة. والذي بدوره يعتبر صورة رائعة من بديع صنع الله تعالى لما احتوت عليه هذه المناطق من غطاء نباتي كثيف يترامى ذات اليمين وذات الشمال، حيثما ولّى المرء وجهه.

تركت الشتاء في الجزائر فإذا بي أجد دار السلام تعيش صيفها، والناس بلباس خفيف أما أنا فلا أزال بلباسي الشتوي الثقيل.

كل شيء تغير من حولي في هذا البلد، كلام الناس، لباسهم، تصرفاتهم، استقبالهم.

وأنا مع إتمام إجراءات الدخول، فإذا بي أبصر من بعيد شخصا يرتدي قبعة وقميصا وذا لحية، وكأنه ينتظر أحدا ويترقبه، فعرفت أنه أحد أعضاء الجماعة الإباضية هنا أتى لاستقبالي، وبمجرد أن تقدمت منه حتى تأكد هذا الأمر، ووجدت أن اسمي بحوزته مكتوب على ورقة، تحصل عليه من الفاكس الذي بعثناه إليهم باسم جمعية الشيخ اطفيش بالجزائر العاصمة يوما قبل سفرنا، طالبين منهم استقبالنا. وقد عرفت بعد ذلك أن الرجل هو الشيخ زاهر الإسماعيلي.

أراحني هذا الشخص من بقية الإجراءات الإدارية. وفي باب المطار وجدت في انتظاري أربعة أعضاء من الجماعة أتوا لاستقبالي كذلك.

بعد تبادل للتحيات باسم مشايخ وادي ميزاب وأهله وسؤال عن أحوال وأخبار الجالية الزنجبارية في الجزائر. أركبوني في سيارة فخمة من سيارات الجماعة الإباضية واتجهوا بي إلى أحد الفنادق لأخذ قسط من الراحة هناك.

الجزائر في: 13 شعبان 1420هـ / 21 نوفمبر 1999م



منظر لقرى زنجبار داخل الغابات

أيامي الأولى
في عاصمة تانزانيا دار السلام

في اليوم الأول من وصولي زرت المسجد الذي تشرف عليه الجماعة الإباضية في دار السلام، وهو يقع في قلب العاصمة ومعروف بالمسجد الإباضي، يوجد بجواره مسجد للشافعية وفي نفس الشارع مسجد آخر للشيعة الاسماعيلية التي تمثلها الجالية الهندية في هذا البلد. كما أن دقات أجراس الكنائس تسمع من قريب هنا وهناك، هكذا حال الناس في دار السلام، فهم خليط من أجناس وديانات مختلفة ومتعايشة مع بعضها البعض.

دخلت هذا المسجد الذي يحتوي على محراب يتسع لما يربو على ألف من المصلين، علقت في حيطانه ساعات كبيرة قديمة الصنع لضبط أوقات الصلوات والأذان تدق معلنة عن بلوغ كل وقت. وبجوار المحراب فناء يكاد يكون مربع الشكل، في أحد جوانبه ميضأة ينزل إليها بثلاث أو أربع درجات. وفي أحد الجوانب غرفة صغيرة تعتبر ملتقى ومقرا للجماعة الإباضية المسيرة للمسجد، تحتوي على بعض التجهيزات الإدارية كجهاز الكمبيوتر والفاكس والهاتف.

ويُعدُّ هذا المسجد الوحيد للإباضية في دار السلام، ففيه يصلون صلاة الجمعة.

وينبغي أن أشير هنا أنه كان بحوزتهم مساجد أخرى في الآونة الأخيرة فقط، لكن الركود الفادح الذي اعتراهم في مجال الدعوة والدين لأسباب عديدة – سيكون التعرض لها لاحقا – جعلت بعض المساجد في قلب دار السلام تتحول إلى مساجد للشافعية، هذه المعلومة أخبرني بها الشيخ أحمد البدري؛ أحد وجوه الجماعة في دار السلام، حيث ذكر لي في إحدى جولاتنا بين شوارع العاصمة أن بعض المساجد كانت ملكا للإباضية فأصبحت لغيرهم وأن بعض الشيوخ الذين لا يزالون على قيد الحياة ممن لحق بذلك الزمان يذكرون ويعترفون بهذا. ثم أردف الشيخ أحمد البدري هذا القول بزيارة ميدانية إلى أحد هذه المساجد، –والذي يشرف عليه الشوافع– القريب من مسجد الإباضية وقال هذا عينة مما كنا نتحدث عليه من ذي قبل.

كما اكتشفت خلال هذه الأيام أنواع الأكلات الإفريقية والزنجبارية، فقد بدأت حياة جديدة معها، وأمضيت الأيام الأولى بكثير من المعاناة مع بعض الأطعمة الغريبة الذوق عليّ والتي لم يتعود عليها لساني ولا بطني من ذي قبل، فقد أصبح الأرز سيد الأطباق بعد أن كان الكسكس سيدها، كما أن المرتبة العالية التي كانت تعطى للحوم بمختلف أنواعها في الجزائر وفي القاهرة قد هوت منها فأصبحت مثلها مثل سائر الأطعمة؛ لحضورها المستمر في الموائد بأشكال وأنواع عديدة، والقيام عن المائدة وهي لا تزال قابعة فيها، وهذا ما لم يعهد في الأكلات في شمال إفريقيا. كما أن الموائد تزينت كثيرا هنا بأنواع الفواكه – التي سمعت ببعضها والبعض الآخر ما وصل سمعي ولا ذاقه لساني من قبل– وما اشتق منها من عصائر ومشروبات، حيث أصبحت تعطي ذوقا خاصا للوجبات. كما غاب نهائيا ما اعتدت عليه

في الجزائر من مشروب الشاي الذي لا يكاد يستغني عنه أحد في اليوم الواحد.

وفي اليوم الأول دائما وصل من الجزيرة الخضراء الشيخ محمد بن سليمان الطيواني أحد أعضاء الجماعة الإباضية وممثلها في الجزيرة الخضراء، والذي سيكون عملنا معه. وهو ممن قدم إلى الجزائر أكثر من مرة مرافقا لطلبة البعثة الزنجبارية. حيث رحب بي وسلمته حمل الرسائل الذي بعثه طلبتهم إلى عائلاتهم. وكذا ما كان بحوزتي من كتب إهداء من وادي ميزاب.

وأذكر أني في تلك الأمسية طلب مني نيابة عن الجماعة تغيير لباسي الإفرنجي الذي أتيت به وسلمني لباسا عمانيا بدله، وذلك مراعاة لعدة اعتبارات بعضها أمني.

وهكذا فبهذا وجدت نفسي قد تغير كل شيء من حولي؛ فبعد تغير البلد وتغير الأهل، ثم تغير الطعام، ثم تغير الملبس، فإنه لم يبق شيء يدل على ميزابيتي أو جزائريتي إلا أثناء مناجاة نفسي أو استرجاع ذكرياتي والعيش في أحلامي.

في نفس اليوم أديت صلاة المغرب والعشاء في مسجد الإباضية، وهناك تعرفت على أعضاء آخرين من الجماعة والمشرفين على تسييرها.

وفي حقيقة الأمر أن هذا المسجد -كونه في قلب العاصمة- جعله بعيدا عن العائلات الإباضية القاطنة في الجهات المترامية، هذا ما جعل الأفراد الذين يؤمونه قليلين. بالمقارنة مع الأفارقة الشوافع الذين يشكلون النسبة الكبيرة من المعمرين له.

بعد صلاة العشاء ارتأت الجماعة أن تحول إقامتي من الفندق إلى منزل الشيخ أحمد البدري، وذلك بطلب منه. وكان قصده -كما ذكر لي- ليخفف عني شيئا من وطأة الاغتراب والبعد عن الأهل والوطن.

هنا ابتدأت فترة جديدة من الحياة داخل هذا المجتمع، فبدأت أعرف بعض خصوصياته من العمق، ففعلا فإن الرجل كان في ذلك المستوى الذي توخاه حيث وجدت فيه وفي عائلته عوضا عن كثير مما افتقدته في سفري هذا، فقد استقبلني أحسن استقبال وأنزلي خير منزل وأكرمني أيما إكرام.

فقد أكرمني بأشهى وألذ المأكولات التي تجيد العائلات الزنجبارية طهيها، كما أفرد لي جناحا في منزله كان خصيصا للضيف، حيث يجعله لا يشعر بأي إحراج أو ضيق، كما قرأت في أبنائه وفي عائلته الكريمة كل الآداب والأخلاق الإسلامية الرفيعة التي ينبغي أن يتحلى به الإنسان المسلم وينبغي أن يحرص الأب لتلقينها وغرسها في أبنائه.

فهو يقطن في أطراف دار السلام وبحوزته منزل واسع، يوجد في أحد أجنحته محل تجارته، وجناح آخر يسكنه بعض النفر ممن يشتغل عنده.

ومما ينبغي تسجيله وبكل صدق وفخر لهذا الرجل أنه يحرص كل الحرص على أداء الصلوات الخمس مع عماله جماعة كل يوم، فقد خصص محلا لذلك يرفع فيه الأذان حين يحين وقت كل صلاة، ثم تقام الصلاة المكتوبة، وهو يحرص على أن يحضر كل عماله لتأديتها، كما يحرص نفس الحرص ليعلم أبناءه الصغار الذين ما زالوا دون سن البلوغ لحضور هذا المشهد اليومي بقصد تدريبهم عليه حين بلوغهم.

وعلى أحد جدران هذه القاعة ساعة وجدول يضبطان توقيت كل صلاة.

والشيخ أحمد عاش فترة من صباه في عمان وتعلم هناك ثم ارتحل إلى تانزانيا وأصل والديه من عمان. لذا فهو يُجيد تكلم اللغة العربية وقراءتها بإتقان. كما أن له أربعة من الأولاد في البعثة الزنجبارية في معهد الحياة بالقرارة بوادي ميزاب.

فقد جمعتنا في الكثير من المرات مناقشات وأحاديث حول أحوال الإباضية في زنجبار والجزائر وعن سلوكات وأعراف وخصائص كل منهما، كما كنا نطالع بين الحين والآخر كتبا تضمنت بعض المسائل الفقهية والاجتماعية التي كانت مدار حديثنا.

ومع الشيخ أحمد حصل لي التعرف أكثر على ما تكتنزه دار السلام من روعة وجمال الطبيعة التي حباها الله بها، حيث كنا كل مساء تقريبا نخرج سويا في سيارته إلى أحد أطراف البلد ليطلعني على تلك المناظر التي جمعت بين اخضرار أرضها وزرقة وصفاء سمائها وهدوء بحرها وعليل نسيمها. فغدت صورة مرسومة لعظمة الله وبديع صنعه.

وأشير أن الأهالي هنا -خاصة منهم العرق الهندي الذي يشكل طبقة الأثرياء- يتذوقون الحياة في وسط هذا البهاء، فتجدهم يبنون منازلهم التي هي أشبه بالقصور داخل هذا الاخضرار المطل على الشواطئ أو القريب منها. ويمتلكون أفخم السيارات وأحدثها ويتنعمون بهذه الخيرات. كما تلاحظهم في عطل نهاية الأسبوع يخرجون للتنزه بعائلاتهم لقضاء أوقات على حافة البحر وبجواره.

كما نجد في مقابل ذلك طبقة عريضة من الأفارقة السواحليين يعيشون حياة ضنكا من الفقر والاحتياج، والاشتغال بأشق وأتعب المهن، كحمل الأثقال من السلع والخضروات التي تنقل من مكان إلى مكان آخر، وكذا جرّ العربات الثقيلة المحمّلة بالبضائع والسلع. ومما يلاحظ كذلك كثرة المتسولين فيهم وكثرة اللصوص.

هذه هي البصمات الأولى المرسومة على المجتمع التانزاني في عاصمته دار السلام، ولعني بمرور الأيام سأزداد معرفة أكثر وتفهما لخبايا هذا المجتمع ومكامن أسراره.

دار السلام - تانزانيا

20 شوال 1419هـ / 07 فيفري 1999م



مسجد الاستقامة في بلدة شكشك بالجزيرة الخضراء

جزيرة زنجبار
بين ذاكرة الماضي وأحوال الحاضر

لقد تعطل موعد سفري من العاصمة دار السلام إلى جزيرة زنجبار بسبب تلك الأحداث المتزامنة مع قدومي والمتمثلة في انشغال الجماعة بالتصدي لأحد أفرادها الذي أحدث بلبلة بدعوته إلى الأفكار الماسونية، فاستمر مكوثي في دار السلام أسبوعا بأكمله قضيته برفقة الشيخ أحمد البدري.

يوم الخميس من الأسبوع الأول حدد يوما للسفر، حيث انتقلت مع الشيخ البدري إلى مسجد الإباضية وودعته هناك لأتجه إلى منزل أحد أقارب الشيخ محمد الطيواني الذي سيكون رفيقي في سفري هذا، لكن حالت أسباب أخرى جعلت سفرنا يتأجل إلى يوم غد.

الجمعة 17 شوال 1419هـ الموافق لـ: 05 فيفري 1999م كان موعد سفرنا إلى زنجبار، وفي حقيقة الأمر أني انتظرت هذه اللحظة بشغف كبير، حتى جعلني استثقل الأيام الأخيرة من مكوثي في دار السلام رغم أن كل شيء كان من حولي جديدا.

في حدود الساعة العاشرة صباحا اتجهت إلى الميناء برفقة الأخ محمد الطيواني، حيث ترصو السفن الناقلة للمسافرين إلى جزيرة زنجبار، بعد إتمام إجراءات الحجز صعدنا على متن باخرة حديثة الصنع ومجهزة بكل مستلزمات الرحلة المريحة، كان المسافرون معنا

-الذين يربو عددهم عن المائتين- من جنسيات مختلفة؛ فإلى جانب الأهالي الأفارقة هنالك أعداد من السواح الآجانب.

كان الطقس ربيعيا مشمسا، وبالنسبة لي فهذه أول رحلة أركب فيها البحر، لهذا فقد أخذ هذا السفر طابعا خاصا متميزا، فبعد استقرار المركب وسط البحر يمخر عبابه، صعدت إلى أعلى الباخرة ذات الطابقين للتمتع بجمال وروعة زرقة البحر الهادئ، مع الشمس الساطعة الغارسة أشعتها بين أمواجه المترامية على جناحي المركب التي يحدثها بحركته، هذا ما صنع لوحة إبداعية متناهية في الجمال.

استمرت الرحلة قرابة الساعتين من الزمن قاطعة مسافة 50 كلم تقريبا، لتطل علينا زنجبار بلونها الأخضر المترامي على مد البصر الملامس لمياه البحر الزرقاء. وقد كانت هذه اللحظات حاسمة بالنسبة لي وشعرت فيها فعلا بأني أسجل على دفتر حياتي شيئا غير عادي سأذكره ما دمت على قيد الحياة. وكانت قشعريرة تختلج جسدي من أعلاه إلى أسفله، وتواز ذلك في ذات الوقت مع حمد لله وشكر نعمه؛ على أن منّ عليّ بزيارة هذه البقاع والوقوف على معالمها، فبالرجوع شيئا بالزمن إلى الوراء فإن مثل هذه الرحلة لم تكن في الحسبان لا من قريب ولا من بعيد، ولم يكن يخطر في بالي ذات يوم أن الله سيغدق علي من فضله حتى يوفقني لأن تقف عيناي على روائع هذه الجزيرة.

رست الباخرة في الميناء فوطئت قدماي أرض زنجبار، فاستوقفتني نفسي هنيهة وذكرتني أني الآن في بلد كان السلاطين الإباضية ذات يوم يحكمون مِن عليها كافة بلاد شرق إفريقيا وعمان،

فأعدت حمد الله بعد أن أصبت بِنَوبات ذهول وتخشع، واستغربت كيف أن الله يستأثر بغيبه ويقدر لي أن أصل هذه البلاد وأزورها بمعية أهلها، وأحظى بخالص استقبالهم وترحيبهم، وأكثر من ذلك تكفلهم بكل شؤوني، سبحانك هذا خير كثير ونعمة غادقة، أشعر في قرارة نفسي أني لست مقدرها حق قدرها.

دخلت المدينة وما تراءى لي لأول وهلة تلك البنايات القديمة وتلك الشوارع الضيقة، هذا ما جعلني أتذكر صورة قصور وادي ميزاب، مع اختلاف -نوعا ما- في أشكال الهندسة، فأستطيع أن أقول أن هندستها تحمل طابعا من الهندسة التركية للمباني مما هو موجود لدينا في القصبة بالعاصمة الجزائرية.

نزلنا ضيوفا عند أحد أقارب الأخ محمد الطيواني الساكن بالقرب من الميناء، فبعد الاستراحة والتهيئة لصلاة الظهر ثم تأديتها، جلسنا لمائدة الغذاء مع أهل المنزل، فتعرفت على صاحبه ورحب بي كثيرا، وهو الأخ مسرور المحروقي، له ابن وبنت في البعثة الزنجابرية بمعهد الحياة بالقرارة، وهو يشتغل بالتجارة في زنجبار. وبينما نحن على مائدة الطعام إذ بمكالمة تصل من الجزائر؛ من؟ الأخ أحمد جهلان - أحد أعيان القرارة- على الخط، تكلم معه الأخ الطيواني سائلا على أحوال الطلبة ثم تكلمت معه طالبا منه تبليغ سلامي إلى الأهل.

مساء ذلك اليوم خرجت مع الأخ محمد وأحد أقاربه في سيارته بغرض القيام بجولة في أرجاء زنجبار. حيث طفنا بشوارع المدينة التي تمتاز بنظافتها وضيق ممراتها، التي لا تسمح بمرور السيارات

على بعضها، وتنقلنا بين أريافها التي تتربع على مساحات خضراء وأشجار لمختلف الثمار من الموز وجوز الهند والمانقا وأشجار القرنفل، وشاهدت كيف يتنعم بعض الناس بزينة الحياة ويستمتعون بخيراتها حيت يبنون لأنفسهم بيوتا أشبه بالقصور داخل غابات وحدائق غاية في البهاء والجمال، وفي هدوء لا يسمع فيه إلا أصوات العصافير المزغردة المزقزقة.

زرنا في هذه الرحلة العابرة جامعة إسلامية بنتها المملكة السعودية وهي تشرف على تسييرها. ووقفنا على أرض للجماعة الإباضية سيشرع في بناء معهد للدراسات الإسلامية فيها. وكذا زرنا مطار زنجبار الدولي الذي يربطها بالعالم الخارجي؛ فمنه تنطلق وتصل طائرات من العديد من الدول الأوربية والآسيوية، هذا ما جعل الجزيرة تعج بالسوّاح من مختلف الجنسيات، هؤلاء الذين عكروا صفو الجزيرة وتناغم طبيعتها مع أهلها، بما يرتدونه من ألبسة غريبة ومـــخلة وبما يأتون به من أعمال مغايرة ومنافية لأصول وعادات هؤلاء الناس.

ومما رسخ في ذاكرتي في هذه الأمسية التاريخية ذلك القصر الذي زرناه وهو شاهد على السلطنة الزنجبارية التي عمرت الجزيرة وخلّدت اسمها في التاريخ أزيد من قرن من الزمن (1832–1964م)، فقد احتوى هذا القصر على صور للسلاطين الزنجباريين الذين تداولوا على حكم زنجبار، واحتوى على لافتات معرفة بأفراد العائلة الحاكمة وتواريخ حكمهم، واحتوى القصر على الأثاث المستعمل من طرف الحكام؛ من أسلحة وبدلات حربية وساعات حائطية ضخمة وعريقة، وغرف استقبال الوفود وكرسي العرش، وكذا الجناح الخاص بحرم

السلطان من غرف النوم والأكل واستقبال وفود النساء. والقصر يحتوي على ثلاثة طوابق، وهو يطل مباشرة على البحر من نوافذ كبيرة تسمح بمتابعة كل تحركات السفن المنطلقة والقادمة إلى شواطئ زنجبار. كما توجد بجواره مباشرة مقبرة دفن فيها أفراد من العائلة الحاكمة.

وفعلا فإن الزائر لهذا المتحف يخرج منه وقد ارتسمت في ذاكرته صورة خالدة وواضحة لنمط عيش وحكم هؤلاء السلاطين، ويشعر وهو بداخله كأن الزمن رجع به إلى تلك الحقبة وقد عايش -لبعض الوقت- تلك الحياة التي كان يحياها هؤلاء.

كما أولى المتحف عناية خاصة بالأميرة سلمى بنت السلطان سعيد الألبوسعيدي -مؤسس سلطنة زنجبار- فأفرد لها جناحا خاصا بها تضمن صورا لها ولأفراد عائلتها وكذا بعض رسائلها إلى سلاطين زنجبار. هذه الأميرة التي عاشت حياتها الأولى في قصر أبيها مع غيرها من إخوانها وأخواتها، وبعد وفاة أبيها وتنازع اخوتها على السلطان؛ هذا التنازع الذي كانت طرفا فيه، فضلت الهروب من زنجبار بعد أن تعرفت على شاب ألماني وقررت الزواج به، حيث سافرت في بادئ الأمر إلى اليمن وانتظرته هناك حتى لحق بها، فغيرت من ديانتها واعتنقت المسيحية وتزوجت في إحدى كنائس اليمن، واصلت سفرها رفقة زوجها إلى بلده بألمانيا وهناك عاشت بقية حياتها، وأنجبت ولدا وبنتين، ومات زوجها بعد فترة وجيزة من زواجهما وتركها وحيدة في عالم غريب عنها تصارع مشاق الحياة ومتاعبها.

وقدر لها القدر أن تعود إلى بلدها زائرة له بعد تسعة عشر سنة من خروجها منه، وقد استخدمت لأغراض سياسية، ثم عادت إلى بلد أبنائها وقضت ما تبقى لها من العمر وماتت ودفنت فيه.

ومما جعل هذه المرأة تأخذ اهتماما كبيرا هو ما تركته لأهلها ووطنها من مذكراتها الشخصية حول حياتها في زنجبار، الذي تضمن وصفا دقيقا ومفصلا لأعراف وعادات العائلة الحاكمة وللمجتمع الزنجباري ككل.

وقد أُولِي لهذه المذكرات اهتماما بالغا من طرف الدول الأوربية المتنازعة على استعمار مناطق جنوب شرق إفريقيا، فطبعت بالألمانية كما كتبتها المؤلفة ثم ترجمت إلى الأنجليزية ثم إلى العربية وهي تحمل عنوان: مذكرات أميرة عربية، وقد طبعت في سلطنة عمان.

وليس ببعيد من هذا القصر يوجد قصر آخر يسمى البيت العجيب، بُني وفق هندسة خاصة، فهو يتكون من طابقين علقا على سوارٍ عالية جدا، وهو الوحيد على ذلك النمط المعماري في كامل زنجبار، وقد بناه السلطان برغش السلطان الثالث لزنجبار. ولاحظت عليه آثار الإهمال الآن.

هكذا انتهت هذه الرحلة باقتراب موعد صلاة المغرب، فاتجهنا إلى أحد مساجد الإباضية داخل المدينة، وبعد الصلاة مع الجماعة عرفني الأخ محمد الطيواني بالشيخ حميد البحري رئيس جمعية الاستقامة الإسلامية التانزانية المشرفة على كل ما هو إباضي في تانزانيا وزنجبار، فرحب بقدومي وسألني عن أحوال مشايخ وادي

ميزاب وأهلها، وبلغته رسالة من الشيخ الناصر مرموري سلمني إياها في الجزائر.

كان نهاية يومنا بنفس المنزل الذي حللنا فيه صباحا، وفي صبيحة اليوم الموالي اتجهت مع الأخ محمد لزيارة معهد الاستقامة للدراسات الإسلامية التابع للجماعة الإباضية، ففيه تعرفت على بعض أساتذته أذكر منهم الشيخ منير المسروري مدير المعهد، وكلهم شباب في عقدهم الثالث وبداية العقد الرابع من العمر. جلهم تلقوا تعليمهم في معاهد عمان.

والمعهد يحتوي على قاعتين للدراسة ومكتبة، وهو يضم في صفوفه حوالي خمسين طالبا يقسمون إلى ثلاثة مستويات، يتلقون تفقها في العلوم الشرعية واللغوية.

أما مكتبتهم فهي تحتوي على مصادر مهمة ومتنوعة في علوم اللغة والأدب والشريعة والتاريخ، ومجهزة بوسائل الإعلام اللازمة وبها قسم خاص بالأشرطة السمعية والسمعية البصرية، وباستطاعتها استقبال عدد طلبة المعهد.

بعد هذه الزيارة الخاطفة اتجهت مع الأخ محمد صوب الميناء لركوب الباخرة باتجاه الجزيرة الخضراء آخر محطة لي في هذه الرحلة الطويلة الشاقة والممتعة الخالدة في ذات الوقت.

الجزيرة الخضراء

01 ذو القعدة 1490هـ/ 19 فيفري 1999م



أحد الشوارع التجارية في زنجبار

الجزيرة الخضراء ...

صور لجوانب الحياة فيها

في صبيحة يوم السبت 19 شوال 1419هـ/ 05 فيفري 1999م بعد زيارة لجزيرة زنجبار استغرقت قرابة اليوم من الزمن كان اتجاهي بمعية الشيخ محمد الطيواني إلى الميناء قصد السفر إلى الجزيرة الخضراء. بعد إتمامنا لإجراءات الحجز ركبنا الباخرة التي انطلقت بنا تمخر عباب البحر في سرعة فائقة، وللتمتع بالصور الربانية الجميلة فضلت الخروج من قاعة الجلوس والصعود إلى أعلى الباخرة للإطلالة مباشرة على البحر والساحل الزنجباري المغطى بالبساط النباتي البهيج. وقد كانت سرعة الباخرة التي تشق بساط البحر المترامي على كامل الجهات بلونه الأزرق العاكس لصفاء السماء تبعث بقطرات من الماء الذي يتطاير إلى أطراف السفينة مع النسيم العذب العليل فيصفح وجوه الجالسين على سطحها ليصنع ابتسامات عريضة على محياهم.

لقد ضمت هذه الرحلة أجناسا من الناس من جنسيات مختلفة إضافة إلى سكان الجزيرة السواحلين والعرب والهنود فهناك الأجانب السواح الذي يقدمون زائرين ومستمتعين بجمال هذه المناطق، لهذا فإن الممتطي لمثل هذه المراكب يلحظ الاختلاف البائن في الأزياء والألبسة المرتدية؛ فمن الحجاب الأسود الساتر لكل الجسم لدى عامة الأفارقة والعرب إلى ما تيسر من اللباس الداخلي الساتر لأغلظ العورات دون غيرها من أطراف الجسد لدى السواح الأوربيين بمختلف جنسياتهم.

كما تعارفت أثناء هذه الرحلة على أحد الطلبة الزنجباريين الذين قدموا إلى وادي ميزاب للدراسة ثم انقطعوا عنها بعد مضيّ ثلاثة أشهر لأسباب خاصة بهم. فقد تجاذبت معه أطراف الحديث في مسائل عدة استطعت من خلالها معرفة بعض أحوال الجزيرة الخضراء وأنماط عيش الناس فيها.

استمرت الرحلة قرابة الساعتين من الزمن لنصل الجزيرة الخضراء المسماة بلغتهم السواحلية PEMBA في حدود الثانية عشرة صباحا، لنجد في انتظارنا بالميناء أحد أفراد الجماعة بسيارة الجمعية - من نوع TOYOTA - لينقلنا إلى محافظة شك-شك CHAKE- CHAKE البعيدة بحوالي عشرين كيلو متر عن محافظة مكواني MOKWANE التي نزلنا بها.

إن أول ما يلحظه الإنسان الزائر لهذه الجزيرة هو ذلك الغطاء النباتي الكثيف الذي يملأ بصره ولا يكاد يفارقه حيثما ولّى وجهه. وهذه النباتات معظمها أشجار مثمرة كأشجار الجوز الهندي والقرنفل والأناناص والموز والمانجو والبرتقال والفنيسي والزمبـــراو وغيرها من الفواكه التي لم أتمكن من حفظ أسمائها لكثرتها ولصعوبة التلفظ بمسمياتها السواحلية.

استغرقت مسيرتنا من محافظة مكواني إلى محافظة شكشك قرابة الساعة في طريق وعر بتشققاته وانكساراته وضيقه. وإثر وصولنا اتجهنا إلى أحد المساجد التابعة للإباضية لأداء صلاة الظهر، وبعدها كنا على موعد للغذاء لدى عائلة الشيخ عمر بن مسعود الذي وافاه الأجل في الأيام الأخيرة وقد سمعت بوفاته وأنا في العاصمة دار السلام، ومما عرفته أن الرجل كان ذا مكانة اجتماعية وعلمية معتبرة

لدى القوم هنا ولدى الإباضية منهم خاصة، فقد أصيب الجميع بهلع إثر سماعهم نبأ وفاته. كما أن أهل الجزيرة بدا على ملامحهم آثار الحزن والحسرة بسبب فراقهم لأحد أعيانهم ومشايخهم.

وقد كان هذا المشهد بالنسبة لي أول لقاء مع أهل الجزيرة، فقد كنت متحرجا ومستحييا داخل هذا المجمع، كما أن تغير العادات والآداب من حولي زاد في حالتي تلك.

كنت برفقة الشيخ محمد الطيواني في كل تحركاتي، لهذا فقد قُدّم بنا إلى المجالس الأمامية للناس وجلسنا في المكان المُعدّ للضيوف ولذوي المراتب الاجتماعية والعلمية.

أما عما شاهدته من آداب هؤلاء الأهالي في مأتمهم هذا؛ فهم يقصدون منزل المتوفى لتعزية أفراد عائلته ثم يجلسون تحت ظلال الأشجار المجاورة للمنزل في حلقات، ليقدم لهم ما تيسر من الطعام؛ المتمثل في طبق الأرز المطبوخ مع قطع من اللحم وبعض الفواكه. وكما هو معروف لدى الزنجباريين فإن الأكل عادة يكون على الأرض ويكون تناول الطعام بواسطة الأيدي دون استعمال الملاعق كما اعتدنا نحن المغاربة. وقد سببت لي هذه العادات في الأيام الأولى حرجا كبيرا لعدم تعودي عليها. ومما لفت انتباهي كذلك أن الرجال هم الذين كانوا يتولون طبخ الوليمة وتحضيرها في الأطباق وتقديمها للضيوف. أما النساء فقد كن داخل البيوت في سترة واحتجاب تامين عن الرجال.

وتكون خاتمة المأتم أن يقرأ أحد المشايخ أو من حضر من أهل العلم دعاء يحمد الله فيه على نعمه ويدعو بالمغفرة والرحمة للمتوفى ثم يفترق الجمع وينتشرون عائدين من حيث أتوا كلٌ نحو مآربه. وبالموازاة يستمر تعزية الأهل في فقيدهم.

بعد انصرافنا كان مقصدنا معهد الاستقامة حيث توجد بجواره إقامتي الأولى وهي تتمثل في غرفة مطلة على الشارع الرئيسي للبلدة ويحيطها من الجهات الأخرى قاعات التدريس والإدارة.

أما المدينة شكشك فهي قرية متواضعة هادئة تتوسط الجزيرة المستطيلة الشكل - في طول يقارب 60 كلم وعرض يقارب 20كلم- ويحيط بإحدى جهاتها البحر. وتُعدُّ عاصمة الجزيرة. كما أنها تنام على غطاء نباتي كثيف يحيط بها من كل الجهات وهو مُشكَّل من مختلف الأشجار المثمرة.

أما مبانيها فأغلبها تتكون من طابق واحد أرضيّ محاط ببعض الأجنة والأشجار، وقد بني سقفها على نمط يتلاءم مع طبيعة المنطقة المعروفة بأمطارها الموسمية الغزيرة المستمرة خلال أغلب فترات السنة. فسُقُفُها تأخذ شكلا هرميا تتوسط أعلى قمة فيه وسط المنزل ثم تنحدر شيئا فشيئا إلى أن تصل الجدران الخارجية، مما يسمح بانسياب كل قطرات الأمطار الساقطة فوقه. كما أن المدينة تحتوي على عدد من العمارات الحديثة الصنع، وعلى بعض البنايات المتعددة الطوابق.

والمدينة بحوزتها كل المرافق الضرورية من المستشفى والمحكمة والبريد والبنك والملعب والسوق وغيرها مع بساطة وتواضع كل هذه المرافق.

أما أناسها فإن مهنهم متفرقة بين التجارة والزراعة والوظائف الحكومية من إدارة وتعليم واستشفاء. كما أن نسبة 95 في المائة منهم مسلمون النسبة المتبقية يشكلها المسيحيون الذين يظهرون أثناء تجمعاتهم يوم الأحد في الكنائس لأداء طقوسهم وعباداتهم، وقد مكنتني

هذه الرحلة أن أشاهد وأسمع مظاهرا لتعبد هؤلاء الناس في الكنيسة التي كانت بجوار منزل إقامتي.

أما المسلمون فهم يتشكلون أساسا من المذهبين الشافعي والإباضي والأغلبية يمثلها الشوافع، لكني أسجل أن هنالك انسجاما تاما بين المتساكنين في هذه القرية ولا تشكل المذهبية لديهم أي مشكل أو نشوز أو تنافر.

كما أن السكان يتكونون من الجنس السواحلي والجنس العربي ونسبة قليلة من الجنس الهندي، وهذا على خلاف جزيرة زنجبار والعاصمة دار السلام اللتين يشكل الهنود فيهما نسبة معتبرة.

في قلب المدينة وفي شارعها العتيق يتواجد مسجد الإباضية وهو محاد لسوق البلد. وقد أخبرني بعض الاخوة أن له حوالي 80 سنة من تأسيسه. هذا المسجد الذي يعتبر مجمعا للجماعة الإباضية وأعيانهم في شكشك. حيث تقام فيه صلوات الجماعة بخمسها ويرفع فيه الأذان وتؤدى فيه صلاة الجمعة والأعياد. كما أن أعيان الجماعة يعقدون فيه اجتماعاتهم لتنظيم وتسيير شؤون المسجد وشؤونهم. ونظرا للموقع الاستراتيجي الذي يحتله هذا المسجد فهو قبلة للمصلين سواء الإباضية منهم أو الشوافع.

ونظرا لصغر البلدة كذلك فإن الناس هنا كلهم يعرفون بعضهم بعضا، وإن الغريب فيهم لا يخفى على أحد والناس يعرفونه منذ الوهلة الأولى التي سينزل فيها ضيفا عليهم، وكذلك كنت وهذا ما حصل لي؛ فقد شعرت في الأيام الأولى أن أعين الناس كلها مُصوَّبة نحوي ومتسائلة: من يكون هذا؟ ومن أين قدم؟ ولماذا؟ وماذا يريد منا؟ وهل سيمكث كثيرا بيننا؟

كما أن هذه الأسئلة كثيرا ما طرحت عليّ من قِبَل مَن تعارفت معه لأول مرة. وعلى كل حال فينبغي أن أسجل أن الناس هنا كثير منهم ذو قلوب طيبة وطوايا صافية وأخلاق فطرية أصيلة لم تشوهها مخلفات ورواسب التمدن والعصرنة التي عادة ما تغيّر من أخلاق وطبائع المجتمعات وتترك فيهم صفات ذميمة غير محمودة.

لقد وجدت لدى هؤلاء الناس كل الترحيب وكل الرفعة والتقدير والاحترام حيثما اتجهت وأينما ولّيت، في الشوارع وفي المحلات التجارية وفي المكاتب الإدارية. كما أنهم ضيفوني في مختلف منازلهم مشرقا ومغربا بأشهى أكلاتهم وأطيب لحومهم وألذ فواكههم، هذه الخيرات التي تنطوي عليها هذه الجزيرة الهادئة وهذه البقاع الطيبة.

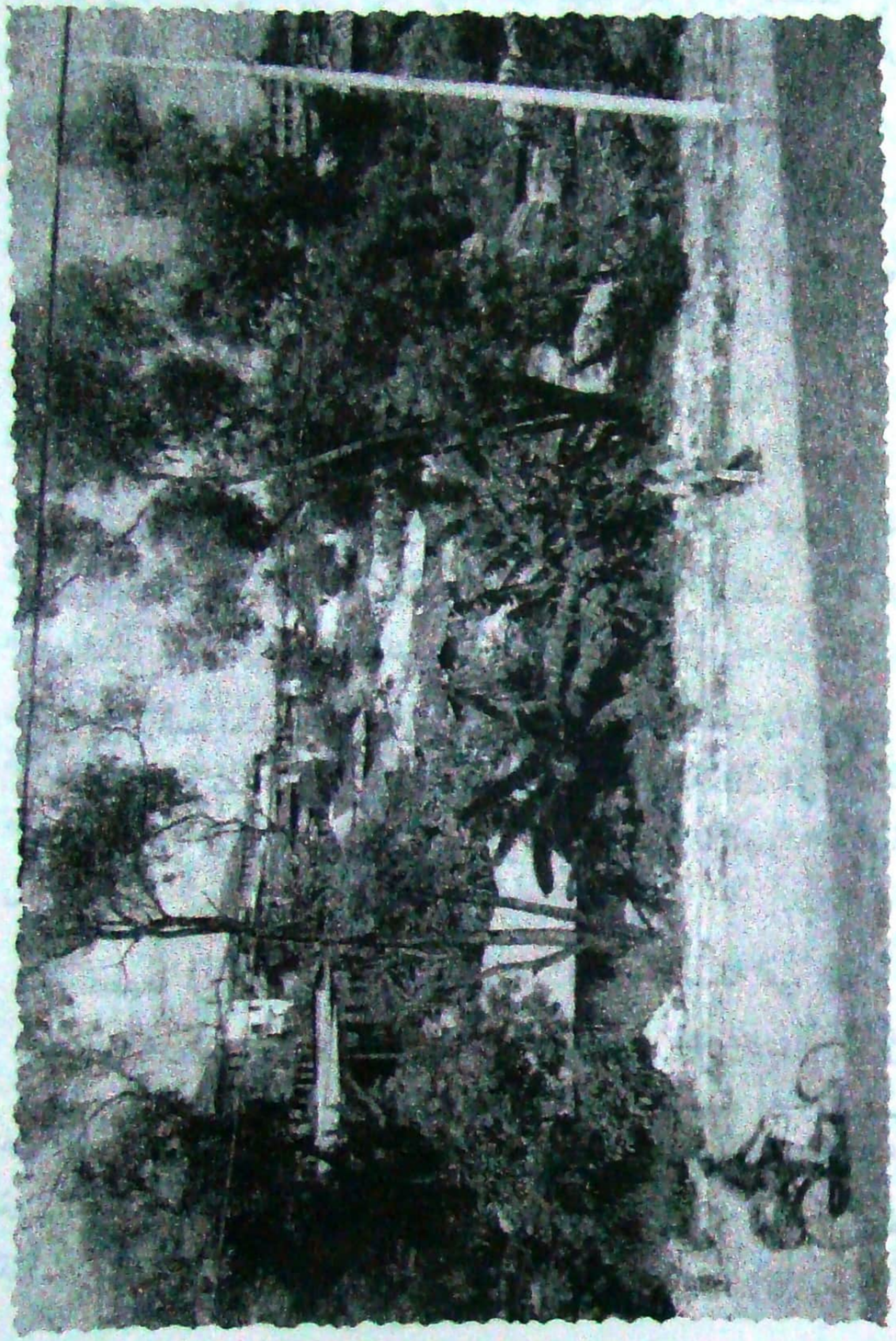
ففعلا إن الناس هنا يعيشون حياة ملؤها البساطة والهدوء؛ فلا صخب ولا صراخ ولا شجار ولا ضجيج سيارات ولا دخان مصانع.

وأنا أتصور أن هذه الجزيرة هي أنسب ما تكون لمرضى الأعصاب ولرجال الأعمال الذين أرهقوا أعصابهم بكثرة المشاكل والانشغالات المتعبة، ليسترخوا ويستريحوا فيها برهة من الزمن، قصد تجديد نشاطهم وطاقاتهم، فهي بجوّها وطبيعتها وخيراتها مستوصف طبي ومنتزه لراحة البال والجسد.

وقد أخبرت بهذه الفكرة غير واحد من الإخوان هنا فابتسم ضاحكا من غير تعليق.

هذه صور مقربة عن واقع الجزيرة ورسم لبعض جوانب الحياة فيها.

الجزائر في: 15 شوال 1420هـ/ 22 جانفي 2000م



صورة لجانب من بلدة شكشك

أضواء على أعماق المجتمع الزنجباري

سأحاول أن أقف في هذا المقال مع بعض ما استطعت التعرف عليه عن واقع ومميزات المجتمع في زنجبار، بعد إقامة بينهم دامت أزيد من ثلاثة أشهر:

1- التركيبة الاجتماعية:

المجتمع الزنجباري هو خليط أجناس تمازجت فيما بينها مكونة هذا المجتمع، كما أنه بالإمكان أن نميز عرقين بارزين هما: السواحليون الأفارقة والعرب.

إن السواحليين يمثلون النسبة الكبيرة من السكان؛ تصل إلى 70 في المائة وربما تزيد، بينما يشكل العرب نسبة 20 في المائة، و10 في المائة المتبقية يتقاسمها أعراق أخرى كالهنود والباكستانيين والإيرانيين.

فطبعا أن السواحليين هم السكان الأكثر أصالة في البلد، ثم يليهم الجنس العربي الذي يرجع أصوله إلى العرب العمانيين الذين استوطنوا زنجبار وعمروها ثم حكموها لفترة طويلة امتدت لعدة قرون، وكان لهم الفضل في نشر الإسلام في هذه الربوع، بل في الشرق الجنوبي لإفريقيا كلها، كما تروي ذلك المصادر التاريخية. كما أن لهم الفضل في تحريك عجلة التنمية، وإدخال هؤلاء الأفارقة -ولو بعض الشيء-

في مسار الحضارة، وإخراجهم مما كانوا فيه من فقر واحتياج وجهل وعبودية وتخلف بمختلف أشكاله.

كما أن أصول بعض هؤلاء العرب ترجع إلى العرب اليمنيين الدين قدموا إلى هذه الربوع منذ أمد بعيد كذلك. فنجد مثلا في تسمية بعض قبائلهم هنا لقب الحضرمي. لكن وقع تمازج شبه تام بين العرب العمانيين والعرب اليمنيين، حتى لا تكاد تعرف هذا من ذاك.

أما بقية الأعراق فيبدو أن قدومهم كان لغرض التجارة والاكتساب لكنهم استوطنوا هذه البلاد بصفة تامة ولهم فيها أزيد من مائة سنة وأصبحوا يشكلون شريحة هامة لها وزنها داخل المجتمع الزنجباري.

كما أشير أن الأحداث السياسية الأخيرة التي وقعت في سنة 1964م جعلت طبيعة المجتمع الزنجباري تتغير، وقد أثر ذلك بوجه أخص على العرب العمانيين حيث فر منهم أعداد هائلة جدا راجعين إلى وطنهم الأم عمان، هذا ما جعل نسبتهم تتضاءل بصورة ملحوظة في هذا البلد، فنستطيع أن نقول أن ما يقارب من نسبة 70 في المائة منهم قد غادروا البلد. وبذلك أصبحوا أقلية مقابل العدد الهائل للسكان الأفارقة السواحليين.

2- التيارات الدينية:

تبعا لتنوع الأجناس المستوطنة لزنجبار، فإن المذاهب الدينية كثيرة هنا كذلك، حيث نجد أن المسلمين يشكلون نسبة 90 في المائة من الأهالي، بينما يشكل المسيحيون نسبة 5 بالمائة، و5 في المائة

المتبقية تشكل بقايا بعض الديانات الآتية من جنوب شرق آسيا كالبوذية والوثنية وعبدة النار.

أما عن المسلمين فإننا تستطيع أن نميز أربعة مذاهب يتوزع عليها السكان بنسب متفاوتة: الشافعية، الإباضية، الشيعة، السلفية أو أنصار السنة كما يعرفون هنا.

أما عن المسيحيين فإن أغلبهم ينتمون إلى الكاثوليك والنسبة القليلة منهم من البروتستنت.

كما نلاحظ بين هذه المذاهب الإسلامية تسامحا وتنافسا وصراعا خفيا وأحيانا ظاهرا، وتأخذ كل هذه المميزات أنماطا وأشكالا مختلفة في حياة الناس. فمثلا من مظاهر التسامح المنقطع النظير أن تجد في الأسرة الواحدة الإباضي والشافعي كأن تجد الأب شافعيا وأحد أبنائه من الإباضية، أو أن تجد الأم إباضية والأب شافعيا والعكس كذلك، أو أن تجد بين الاخوة الإباضي والشافعي، وهذا لا يطرح عندهم أي مشكل، كما أنك تجد مساجد الإباضية عمارها من الشافعية والعكس موجود كذلك. ولعل جهل الطرفين بحقيقة مذهبهم كان عاملا إيجابيا في تبلور هذا التسامح، وانتاج هذه الوضعية، فقد ساعد على ذلك كثيرا، كما أن انصراف الناس إلى شؤون حياتهم وانشغالهم بكسب قوتهم وإهمالهم للعلوم الشرعية كان له أثره في كل هذا.

هذا عن المسلمين، فإذا ما نظرنا إلى المسيحية هنا، فإننا نجد لأتباعها كنائسهم ومعابدهم كذلك، فمثلا في مدينة شكشك بالجزيرة الخضراء حيث مقر عملي توجد كنيسة بالجوار من إقامتي يقدم إليها

المسيحيون عشية كل يوم أحد من كل أطراف الجزيرة ويحيون تقاليدهم وطقوسهم في أتم الحرية والارتياح.

كما أن المطلع على قناة التلفزة الزنجبارية يلحظ بوضوح محاولتها لأن تعطي لكل طائفة حقها، خاصة بين المسلمين والمسيحيين، حيث نجد أن يوم الجمعة يخصص لعرض أنشطة المسلمين التي تتمثل في مسابقات المدارس القرآنية في حفظ القرآن الكريم، وكذا بعض دروس الوعظ، وكذا بعض الأشرطة عن مناسك الحج مثلا، أما يوم الأحد فإننا نشاهد برامج للمسيحيين، كعرض طقوس تؤدى في الكنيسة احتفالا بأعيادهم، أو تقديم مواعظ حول تعاليم المسيحية، وفي الأيام الماضية من شهر أفريل أولت التلفزة عناية بنقل طقوس أعياد الفصح من داخل الكنائس.

كما هو واضح للعيان أن المذهب الشافعي هو المستحوذ على أغلب أنشطة المسلمين هنا خاصة في التلفزة وفي كل ما هو تابع للسلطة، والسبب في ذلك واضح لكون الرئيس والحكم ينتمي إلى هذا المذهب ولو اسما، وكذا لكونهم يشكلون الأغلبية من السكان.

كما تعرض أحيانا بعض تقاليد الشيعة، فمثلا هذه الأيام أولت التلفزة بعض الاهتمام لما تقوم به الطوائف الشيعية من احتفالات بمناسبة ذكرى مقتل الإمام الحسين في واقعة كربلاء. أما هؤلاء أنصار السنة فيبدو أن نشاطهم معتمد أساسا على التمويل الخارجي، وهو من السعودية بوجه أخص، حيث لهم في زنجبار جامعة للعلوم الشرعية ومدارس لتعليم اللغة العربية في كل المستويات، تنشر من

على منابرها أفكار السلفية، وهنا وجه من أوجه الصراع الواضح للعيان بين المذاهب الإسلامية.

3-الوضعية الاجتماعية والحالة المعيشية:

في حقيقة الأمر أن الأهالي هنا خاصة الأفارقة منهم يعيشون حياة قاسية في اكتساب رزقهم، فأغلبهم يعتمد في ذلك على فلاحة الأرض أو صيد السمك، وهم يستعملون في العملين أبسط الوسائل ويملكون أضعف الإمكانيات، كما أن بعضهم يعتمد على بعض التجارات البسيطة حيث يشتغلون في محلات صغيرة تضم بعض السلع المتناثرة في أطراف أدراج دكاكينهم، كما أن بعضهم الآخر يشتغل في أعمال حكومية من الوظائف الإدارية والتعليمية.

هذا عن الأفارقة أما العرب والهنود فإن الكثير منهم على العكس من ذلك تماما إذ يمتهنون مختلف التجارات الداخلية والخارجية وكذا بعض الصناعات، وهم يتحكمون في زمام تسيير دواليب البلد التجارية، هذا ما جعل منهم أثرياء يعيشون حياة من الرفاهية، فتجد بعضهم يتطاول في البنيان ويعدد من المنازل، وتجد بعضهم الآخر يملك أفخم السيارات، وبعضهم يعيش في منازل داخل حدائق غناء هي أشبه بالقصور.

وبذلك نستطيع أن نقول أن المجتمع في زنجبار يعيش طبقية واضحة للعيان لا مراء فيها.

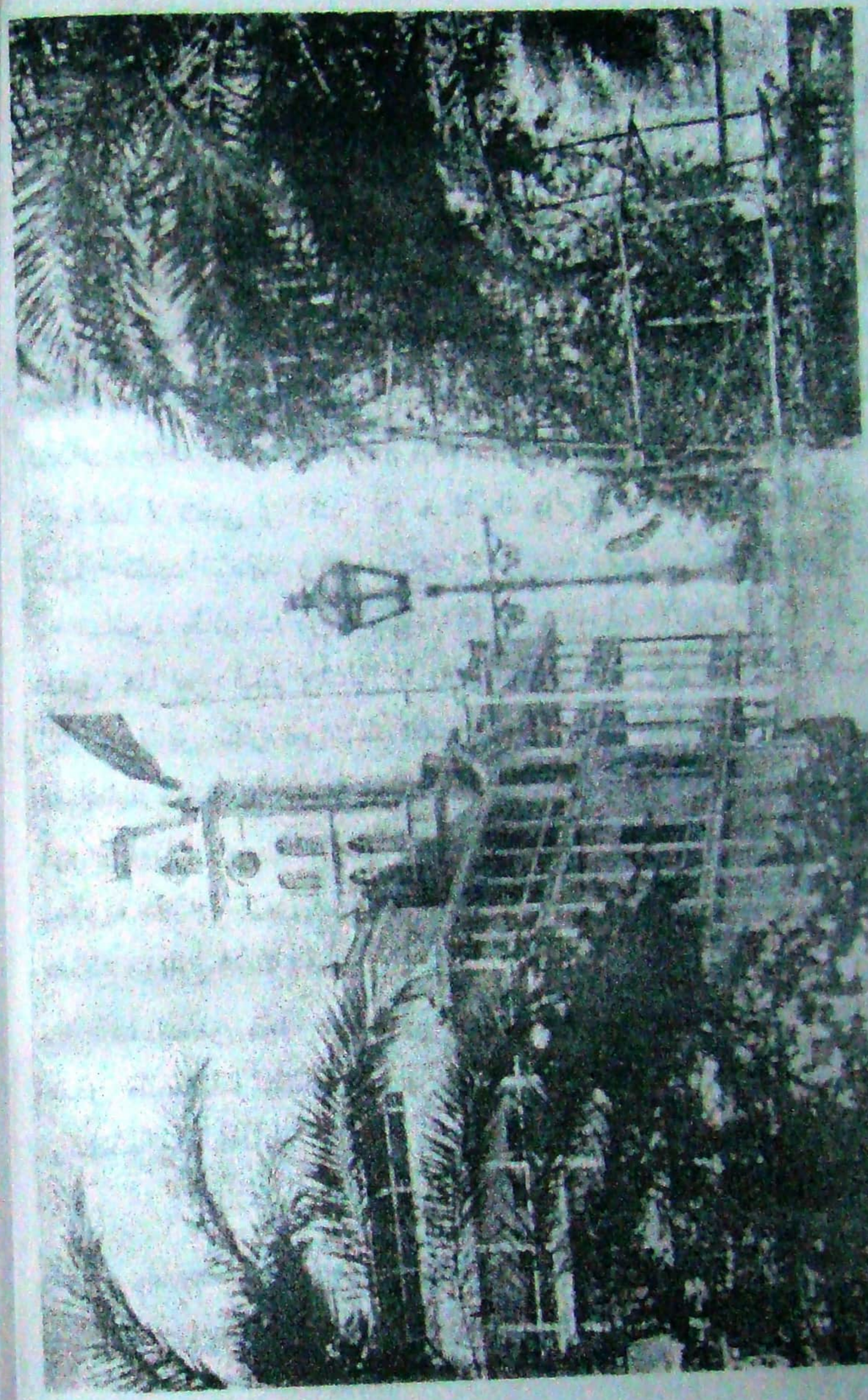
هذه بعض خصائص المجتمع الزنجباري وهو حقيقة مجتمع تكتنفه الكثير من العجائب وبدائع الله في خلقه، وإن الزائر لزنجبار

ليبقى في كثير من الأحيان مندهشا أمام بعض المشاهد التي تصادفه، ومن المفارقات الغريبة التي تحير الزائر أنه يستطيع خلال بضع ساعات من الزيارة لأطراف هذه الجزيرة أن يلتقي بأناس نستطيع أن نصنف عيشهم في الحقبة الزمنية الممتدة بعد العهد الحجري، وبعد زمن ليس بالطويل وعلى مسافة ليست بالبعيدة يلتقي مع أناس آخرين سبقوا زماننا هدا وهم يعيشون حياة القرن القادم من البدخ والرقاهية وتوفر وسائل التمدن والاستمتاع والراحة.

كما لا ننسى أن نشير أن حركة السياح الأجانب-خاصة الأوربيين منهم- تشهد انتعاشا رهيبا، فبحوزة جزيرة زنجبار مطار دولي تنزل به مباشرة طائرات من مختلف عواصم الدول الأوربية، كما أن لها فنادق هنا من أفخم وأعلى طراز، تمارس فيه كل فضلات المجتمع الأوربي، بل أكثر من ذلك فقد خصص لهم شواطئ واقتطعت لهم مساحات خضراء شاسعة مطلة على المحيط الهندي الدافئ الهادئ، من أروع المناظر ومن أمتع ما تقف عليه عين الإنسان من بديع صنع الله تعالى، حيث يمارس فيها هؤلاء كل ما يحلو لهم ويطيب مما يغضب صانع ومبدع هذا الجمال.

هذه بعض معالم الحياة في هذه الجزيرة الغريبة، التي جمعت بين سحر طبيعتها واعتدال طقسها وبين تنوع تركيبة مجتمعها في دياناتها وعادتها وتقاليدها.

شكشك-الجزيرة الخضراء-زنجبار
الجمعة 20 محرم 1420/7 ماي 1999



صورة للبيت العجيب الذي بناه السلطان برغش

وقفة تعريفية للإباضية
في دولة تنزانيا وجزيرة زنجبار

1- الأصول التاريخية للإباضية في دولة تانزانيا وزنجبار:

لقد كان وصول المذهب الإباضي إلى زنجبار عن طريق العرب العمانيين الذين قدموا إلى سواحل شرق إفريقيا واستوطنوها منذ عهود بعيدة، ولعل هجراتهم الواسعة واستوطانهم النهائي لهذه البقاع كان بقوة أثناء قيام دولة اليعاربة العمانية في عمان في القرن السابع عشر الميلادي وقد بسطت نفوذها على ساحل شرق إفريقيا إثر محاربتها وإجلائها للاستعمار البرتغالي الذي كان يحتل هذه الأراضي، حيث ضمت تحت سلطانها البلاد المطلة على هذا الساحل، وكان منها جزيرة زنجبار وتنجنيقا التي تمثل دولة تانزانيا الآن.

ثم تلى هذه الدولة قيام الدولة البوسعيدية في بداية القرن التاسع عشر، التي خلفت اليعاربة في حكم عمان، حيث اتخذ سلطانها السيد سعيد بن سلطان في سنة 1830م من زنجبار عاصمة له، وذلك لنقله مركز حكمه من مسقط إلى زنجبار.

وقد شهدت زنجبار في عهد سلاطين هذه الدولة تطورا مهما وانتعاشا اقتصاديا صحبه حياة اجتماعية تنعم بالرفاهية والأمان، هذا ما جعل منها عاصمة لشرق إفريقيا وجلب إليها الأنظار.

وكان هذا سببا في أن يقدم إلى زنجبار أجناس من الشعوب المجاورة لها بغرض العيش في ظل هذه السلطنة والتنعم بخيراتها وعدلها. فممن قدم واستوطن هذه البلاد الهنود والباكستانيون والفرس، والزنوج الذين نزحوا من المناطق الداخلية لإفريقيا خاصة منها تنجنيقا المحادية لها.

لهذا نستطيع أن نقول أن الحكم العماني الذي استمر حقبة زمنية طويلة هنا والهجرات المتتالية للقائل العمانية إلى هذه الربوع واستوطانها لها عمل على توطيد وترسيخ المذهب الإباضي فيها. ولعل الزائر لأهم المدن التاريخية القديمة فيها مثل بلدة كلوة وتانقة ودار السلام التنزانية، وممباسة الكينية يشهد بوضوح آثار الحضارة العمانية الباقية إلى يومنا هذا، سواء فيما خلفت لنا من تراث متمثل في المساجد والمباني والقلاع والحصون، أو في انغراس التقاليد والآداب الاجتماعية العمانية في الحياة اليومية لدى الأهالي.

كما أن هذه الحضارة الطويلة جعلت كثيرا من العرب العمانيين يفضلون العيش والعمل في هذه المدن إلى يومنا هذا، مع ابقائهم الصلة بوطنهم الأم عمان، ففي كل المدن التي ذكرناها آنفا لايزال للتواجد العربي بقاء إلى يومنا هذا.

ومما عمل كذلك بقوة على تجدر المذهب الإباضي في هذه الربوع هو ما أقدم عليه العرب العمانيون منذ القديم -طوال وجودهم فيها- من الزيجات الكثيرة والمتعددة مع الأهالي الأصليين أو الأفارقة السواحليين، فاختلطت دماء بعضهم ببعض، هذا ما تولد عليه بعد مرور الزمن جيل جديد يحمل في عروقه الجنس العربي والجنس

السواحلي في الوقت ذاته، وبذلك أصبح هذا الجنس يحمل أصالة البلد وأصالة المذهب الإباضي، ولقد ازداد اختلاط الدماء أكثر مع هذا الجيل الجديد لكثرة تزاوجه مع العرب العمانيين الأصلاء لكونه يحمل في عروقه الجنس العربي، وهذا مبرر لإتمام وقبول مثل هذا النوع من الزيجات.

وبذلك فقد تشكل في هذه الربوع -خاصة داخل تانزانيا- جنس جديد هو مزيج من العرب والسواحليين وهو متمذهب بالمذهب الإباضي، ومنتشر في أغلب أنحاء دولة تانزانيا من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، وكذا في بعض المدن من الدول المجاورة خاصة في بلدة ممباسة بكينيا.

ولعل السبب الآخر الذي عمل كذلك على استيطان المذهب الإباضي فيها، هو ما عرف به العرب العمانيون من استعمالهم للعبيد في الأزمنة الماضية، حيث كانوا يستقدمون العبيد من الأراضي الداخلية لإفريقيا وهم من السكان الأصليين، فيعيشون معهم ليقوموا بمصالحهم المختلفة؛ في أعمالهم التجارية وفي خدمة أراضيهم الزراعية وفي القيام بشؤون منازلهم وما إلى ذلك، حيث عمل هؤلاء العمانيون على إدخال هؤلاء العبيد في الإسلام وتعليمهم أمور دينهم على مذهبهم الإباضي، فنشؤوا على ذلك، وعندما انتهى عهد العبودية في هذه الأوساط في الآونة الأخيرة الماضية استمر هؤلاء الآهالي وذرياتهم على ما هم عليه من تتبع للمذهب الإباضي.

ولعل السبب الأخير متمثل في ظروف العمل والتعايش والاحتكاك الذي كان بين العمانيين والسكان الأصليين، حيث سيعمل هذا بلا شك

عمله في جلب أعداد منهم لاتباع المذهب الإباضي وتأثرهم بعادات وآداب العمانيين، خاصة إذا عرفنا أن الكثير من العمانيين كانوا أثرياء وكانوا معروفين بممارستهم واشتغالهم بالتجارة وخبرتهم فيها، هذه التي تقوم أساسا على ربط العلاقات والتعارف بالآخرين.

كما أشير إل أن الكثير من أهالي هذا الجيل الجديد ذو بشر سوداء أو قريبة إلى السواد، وجزء منهم يحمل بشرة سمراء شبيهة تماما ببشرة أهل عمان؛ وهم الذين لم يحصل لهم الاختلاط بالجنس السواحلي أو كان اختلاطهم بهم بصفة جزئية.

2 - الحالة الراهنة للإباضية في دولة تانزانيا وزنجبار:

مما هو معروف لدى الكثير من الإباضية، خاصة المغاربة منهم أن الإباضية في شرق إفريقيا يقتصر أساسا على جزيرة زنجبار دون غيرها، خاصة في الوقت الحالي حيث انحصر وجودهم كثيرا في زنجبار ذاتها، وذلك لما تعرضوا له سنة 1964م من أعمال عنف وإبادة، كانت سببا في قيامهم بهجرات متتالية وبأعداد هائلة راجعين إلى البلد الأم عمان. هذا ما قلل من العرب العمانيين فيها وجعل عددهم يتضاءل بصفة ملحوظة، وتبعا لذلك فإن المذهب الإباضي انحصر في هذه الجزيرة كثيرا.

-كما نشير أن حكم السلطنة العمانية في زنجبار انتهى إثر هذه الأحداث، فضمت بموجبها جزيرة زنجبار إلى تنجنيقا مشكلة معها فدرالية دولة تانزانيا، مع احتفاظ زنجبار بنوع من الحكم والتسيير الذاتي لبعض مصالحها الداخلية؛ حيث أن لها رئيس دولة ولها عددا

من الوزارات والسفارات المستقلة عن تانزانيا، كما تشترك مع تانزانيا في الوزارات الهامة والاستراتيجية-

لكن الحقيقة غير ذلك؛ فعندما يقدم الإنسان إلى هذه الربوع، ويعاين الأمور على كتب فإن هذه المعلومات تتبدد لديه ويعرف حقائق لم تكن تخطر في باله من ذي قبل؛ ويعرف الأمور على وجهها الصحيح.

فالإباضية هنا منتشرون على كامل المحافظات الداخلية لدولة تانزانيا، المتمثلة في العاصمة دار السلام وبكوبا، مونزا، طنقا، شينقا، كلوة وغيرها، والمذهب الإباضي متجذر لدى الأهالي،كما أن لهؤلاء مساجدهم ومدارسهم العريقة الدالة على قدم وحودهم في هذه الأماكن.

فالمدارس تهتم أساسا بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم ضروريات الدين الإسلامي ومبادئ اللغة العربية، حتى يتمكن الفرد من معرفة ماله وما عليه من فرائض تجاه ربه.

وفي حقيقة الأمر أن الوضعية الاجتماعيةوالحالة الدينية لا تحمد كثيرا لدى هؤلاء الإباضية؛حيث يعانون من افتقادهم لتعلم العلوم الشرعية ومعرفة تاريخ حضارتهم الإسلامية ومذهبهم الإباضي وشخصيتهم العمانية السواحلية، كما أنهم يجهلون اللغة العربية جهلا مطبقا، فقد تركوها تضيع من ألسنتهم لأسباب عديدة ذكرناها آنفا، أهمها التزاوج بالإفريقيات ذوات اللسان السواحلي، وهذا ينطبق على حد سواء على العرب والسواحليين الإباضية في زنجبار وفي تانزانيا. فنجد الكثير من سكان محافظات تانزانيا يحملون مختلف أسماء القبائل العمانية الموجودة الآن في عمان كاسم اللمكي، الخروصي، الرواحي،

الطيواني، البحري، الحضرمي، الوردي، المزروعي، البدري، المعولي... لكن ليس لهم أي علم باللغة العربية إلا القلة النادرة منهم ممن أتيحت له فرصة هنا أو هناك لتعلم بعض أبجديات هذه اللغة.

ولعل من الأسباب الرئيسة كذلك التي اسهمت في إيجاد هذه الوضعية هو كونهم -- خاصة الإباضية التنوانيون- يعيشون تحت دولة نظام حكمها مسيحي، المسيحيون يشكلون العدد الأكبر من السكان، وأن أبناءهم يدرسون مع المسيحيين في نفس المدارس، ويتعلمون في بعض المستويات الدراسية تعاليم المسيحية، وهم يختلطون معهم في كل معاملاتهم، هذا ما صعب من محافظة هؤلاء على شخصيتهم وعلى أصولهم الإسلامية والإباضية،

كما أشير هنا كذلك أن للمذهب الشافعي في هذه الربوع تواجدا معتبرا، والإباضية والشافعية يعيشون متحابين جنبا إلى جنب، في تفاهم وتسامح كبيرين وتعاون منقطع النظير، ولعل وجود المسيحية بين أجنبهم زاد من تقوية هذه الروابط والصلات بينهما، فهناك تزاوج وتعايش بين المذهبين على كامل المستويات.

لكن ما ينبغي تسجيله في الأخير وبكل تفاؤل أن هناك نشاطا وحركة اجتماعية وتعليمية جديدة ناشئة لبعث الإسلام والمذهب الإباضي في هذه الربوع وإعادة الوجه النير الناصع لهما، وهي بحاجة إلى كثير من الإعانة والرعاية والتوجيه.

شكشك-الجزيرة الخضراء في: 15 صفر 1420/ 31 ماي 1999



السلطان سعيد سلطان عمان وزنجبار 1804-1856م

تأريخ مشروع

المسجد الجديد للإباضية في العاصمة دار السلام

يوم الإثنين 15 شوال 1419هـ الموافق لـ: 01 فيفري 1999م بعد صلاة المغرب في مسجد الإباضية بدار السلام اتجه مسؤولو الجماعة إلى إحدى ضواحي العاصمة التي يقطن بها أعداد لا بأس بها من الإباضية. وكنت ممن رافق الشيخ أحمد البدري في سيارته الخاصة. والموضوع هو معاينة أرض تعزم الجماعة على شرائها قصد تحقيق مشروع عليها يتضن مسجدا يكون بجواره مدرسة ومستشفى.

وصلنا هذه المنطقة فوجدنا سيارات عديدة للإخوان مصطفة أمام المحل الذي هو عبارة عن أرض واسعة مستطيلة محاطة كلها بجدار عال، وكذا وجدنا أعدادا آخرين من الناس الذين قدموا راجلين من المناطق المجاورة.

بعد أن اكتمل الجمع التأم الحاضرون، وتوسط أعضاء الجماعة الجمع فتناول الكلمة أحد أعيان الإباضية بالمنطقة، ثم تناول الكلمة من بعده الشيخ أحمد البدري ثم الشيخ محمد الطيواني ثم بعض الإخوان، وللأسف فإني لم أع شيئا مما كنت أسمع، فالقوم يتخاطبون بلغتهم السواحلية التي لا أفقه منها شيئا بعدُ.

لكن من الواضح أن جل كلامهم سيتمحور حول حثّ الحاضرين لجمع التبرعات لشراء هذه الأرض التي أتت في موضع استراتيجي، واعتبار ذلك من الجهاد الخالص الذي يكون بالنفس والمال، وأن هذا من الصدقة الجارية التي لا ينقطع أجرها، وأن هذا المشروع مما سيُوطّد من أركان الإسلام وأركان المذهب في هذا البلد الذي يتصارع فيه الكفر مع الإيمان.

استمرت هذه الجلسة إلى فترة وجيزة بعد أذان العشاء ليتفرق الجمع بعدها راجعين من حيث أتوا وكلهم أمل في رؤية مسجدهم ذات يوم وقد علا بنيانه ورفع فيه الأذان وأقيمت فيه الصلوات وتعلم فيه الأبناء دينهم ولغتهم.

دار السلام – تانزانيا

الثلاثاء 16 شوال 1419هـ / 03 فيفري 1999م



داخل أحد مساجد الاستقامة في الجزيرة الخضراء

الفكرة الماسونية

تحل ضيفا مزعجا على المجتمع الإباضي في تانزانيا

شهدت الجماعة الإباضية في الأيام الأولى من وصولي إلى دار السلام استنفارا لأعضائها القياديين، حيث ترابطوا على عقد اجتماعات مراطونية فيما بينهم بقصد التشاور، ثم عقد لقاءات أخرى في أوساط التجمعات الإباضية هنا وهناك من أطراف العاصمة.

السبب في كل ذلك أن أحد أفرادهم ممن تلقى تكوينه على يد الأنجليز في بريطانيا، فتحصل على شهادة الدكتورا من إحدى جامعاتها في العلوم السياسية رجع إلى أرض وطنه. وبعد مدة أصبح ينادي بفكرة الجمع والمؤاخاة بين الديانات والعقائد في تانزانيا. خاصة بين ديانة الإسلام والديانة المسيحية. ومن الخطوات الميدانية التي قام بها أنه أسس جمعية اعتمدتها السلطات الرسمية، وبدأ نشاطه بتحركات يلتقي فيها مع أعيان ووجوه المجتمع وشبابه في أرجاء العاصمة وفي بعض محافظات تانزانيا الداخلية يدعوهم للانضمام إلى جمعيته وتأييد أفكارها ونشاطها.

ومما زاد للقضية خطورة في نظر مسؤولي الإباضية هنا أن فكرة الرجل تحمل شقا له مساس صريح بالمسائل العقدية لدى المسلمين عامة، فهو يستشهد بآيات قرآنية يحاول تأويلها وتفسيرها حسب ما يخدم أفكاره، من خلالها يريد أن يبرهن أن الله تعالى سيجازي كل أتباع ديانة على ما تنصّ عليه ديانتهم إذا هم طبقوا ما فيها من تعاليم

ولم يخالفوا أمور نبيهم، وبذلك سيكون مآلهم الجنة، أي لا معنى للقول بأن الإسلام ناسخ لما قبله من الديانات ولا معنى لقول الله تعالى: **{إن الدين عند الله الإسلام}**

وللأسف فإنه لم تجمعني فرص لقاء مع هذا الشخص ومناقشته في مذهبه هذا وتفهُّم أفكاره من مصدرها وتبين ما سمعت حوله، فكل ما قلته سابقا هو مما عرفته من الاخوة مسؤولي الجماعة الإباضية هنا الذين ناقشوا الرجل وعرفوه عن كتب.

وقد تعددت المناسبات التي أثرنا فيها الموضوع وتفاصيله، وأذكر أني في صباح أحد الأيام الأولى التي قضيتها مع الشيخ أحمد البدري في منزله جلسنا نتناقش في الأدلة القرآنية التي اعتمدها ورجعنا إلى تفسير الشيخ أحمد الخليلي وحاولنا أن نعرف رأيه في إحدى الآيات التي قال الرجل أن الشيخ الخليلي يرى رأيه فيها وهي قول الله تعالى: **{إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابين من ءامن منهم بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}.**

ومرة أخرى بعد فترة من استقراري في الجزيرة الخضراء جمعنا نقاش حول الموضوع مع الأخ يوسف كريزو والشيخ محمد الطيواني أحد الذين تصدّوا للرجل بقوة وجرأة ودعوا إلى مناظرته.

ومما عرفته عن المسألة كذلك -مما فهمته من الاخوان- أن للرجل مطامح سياسية وأخرى اجتماعية لدى دولته ولدى بني جلدته العرب العمانيين كانت وراء دفعه لإنشاء هذه الحركة والسهر على كسب مؤيديها في المجتمع.

كما أن الجماعة كانت ترمي ببعض الشكوك حول الأيادي الخفية وراء هذا الرجل وحركته هذه، لأن تلك الأنشطة التي قام بها كانت مكلفة لأعداد هائلة من الأموال ليس باستطاعته الحصول عليها بمفرده، حسب الذين يعرفون وضعيته الاجتماعية.

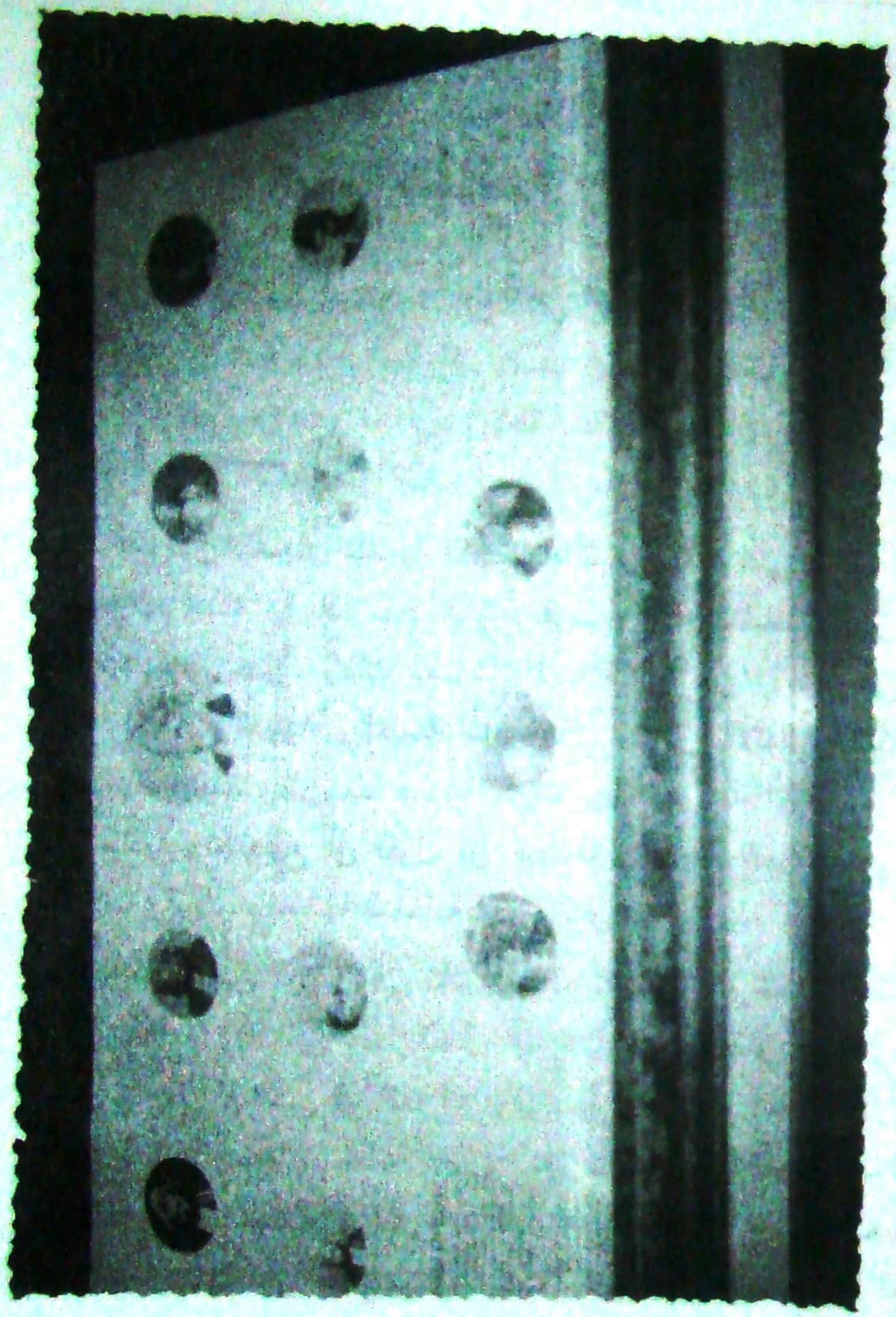
فمنهم من ذهب أن من أهداف هذه الحركة إحداث البلبلة في أوساط الجماعة الإباضية التي بدأت في جمع شتاتها ومحاولة كسرها من الداخل. ومما يجب أن أذكره كذلك أن هذا الرجل وجد من يسانده من أبناء جلدته أنفسهم -ربما يكون ذلك عن جهل أو حسن نية- هذا ما عرفته من الاخوان.

أما عن الخطوات المضادة لمسؤولي الجماعة للتصدي لهذه الحركة فقد تمثلت في تلك الاجتماعات مع الإباضية في أطراف العاصمة دار السلام، وأذكر أني حضرت اثنين منها، أما أحدها فقد كان مع أفراد إحدى عائلات الإخوان، الغرض منه معرفة التحركات الأخيرة له. والاجتماع الثاني كان أكثر عددا في بيت أحد الإخوان المسمى الشيخ صالح الكائن في ضواحي العاصمة، وكان في تاريخ 03 فيفري 1999م بعد صلاة العشاء، وضمّ ما بين الثلاثين إلى الأربعين من النفر وقد استغرق أكثر من ساعتين من الزمن وتداول على منصة الكلام عدد من مسؤولي الجماعة أذكر منهم الشيخ أحمد البدري والشيخ محمد الطيواني، وكان مدار كلامهم التحذير من الرجل وأفكاره وفضح أعماله وبيان فساد وضلال مزاعمه.

ولقد عمّ التحذير من الرجل وأفكاره كذلك جزيرة زنجبار والجزيرة الخضراء، فقد كان هنالك تنسيق بين فروع الجماعة للوقوف في وجه الرجل والتصدي لمزاعمه.

ولم تنته القضية في هذه النقطة لكن يبدو أنها تطورت أكثر -وإن كنت قد ابتعدت عن مدار الأحداث التي كانت في العاصمة دار السلام- فمما وصلني من الأخبار أن المشكلة عُرّج بها إلى عمان حيث الشيخ الخليلي المسؤول الأول على إباضية عمان وزنجبار، فاستدعي الشخص إلى هناك وتقابل مع الشيخ الخليلي وتجادل معه في المسألة حتى أقنع الرجل بضلالة أفكاره وبفساده مزاعمه. وكان هذا الحدث في حدود شهر ماي من سنة 1999م، فأذكر أن الشيخ محمد الطيواني بعد عودته من رحلته إلى عمان في هذا الوقت روى لي تفاصيل ما حدث فقد كان شاهد عيان. وحسب قوله فإن الرجل وعد الشيخ الخليلي بالكف عن أعماله والإقلاع عن ضلالاته والعودة إلى جادة الحق. ولا تزال الجماعة له بالمرصاد.

الجزائر في: 01 رمضان 1420 هـ / 09 ديسمبر 1999م



حكام سلطنة زنجبار

جمعية الاستقامة الإسلامية التانزانية
نبذة عن تاريخها وأعمالها

1- تأسيس الجمعية:

لقد كان لتأسيس جمعية الاستقامة أثره العظيم على تنظيم الإباضية لصفوفهم هنا، وإعادة نفخ الروح فيهم وبعث النشاط والحركية بين أفرادهم من جديد، وذلك بعد ما كانت الكثير من الأمور في حياتهم الاجتماعية والدينية والعلمية ذاهبة في طريق الاندثار شيئا فشيئا، لأسباب عديدة وظروف صعبة مرت بها الجماعة الإباضية في هذه الأوساط؛ ونستطيع أن نقول أن المناطق النائية والموغلة في أدغال تانزانيا وفي محافظاتها الداخلية كانت أكثر تأثرا بهذا الوضع.

ولقد تزامن التفكير في تأسيس هذه الجمعية مع مطلع التسعينيات، وكان الدافع الأساسي لهذا العمل هو هذا الواقع المتردي الذي أصبح يشعر به كل إباضي في تانزانيا وفي جزيرة زنجبار، كما كان للشيخ أحمد الخليلي- مفتي سلطنة عمان- دوره المشجع للجماعة هنا للمضي في تحقيق وتجسيد هذه الفكرة ميدانيا، ففي إحدى زياراته لزنجبار دعا الجماعة وحثها على جمع شتاتها تحت إطار جمعية تعطي لها الشرعية في الأعمال والنشاطات التي ستقوم بها لغرض تحسين الأوضاع هنا.

وفعلا فإن الجماعة استجابت للنداء وبدأت في التحضير؛ بتنظيم لقاءات مع بعضها البعض في مختلف المناطق التي يوجد بها الإباضية؛ لأجل التحسيس بالقضية وشرح أهدافها وأعمالها المرتقبة والمنتظرة منها.

وبالموازاة لهذا العمل شرعت الجماعة المسؤولة في الإجراءات العملية لأجل اعتماد الجمعية بصفة قانونية رسمية لدى السلطات التنزانية. ومما يبدو أنها قد لاقت الكثير من المتاعب والصعوبات حتى يتم لها هذا الهدف؛ فقد استمرت مجهوداتها المتواصلة قرابة الثلاث سنوات من الاتصالات والسعي والتحرك بمختلف الوسائل وعلى مستويات عديدة، لتتمكن أخيرا من الحصول على الاعتماد، وكان ذلك في سنة 1995م، وقد سُجلت باسم: **الجمعية الخيرية الإسلامية التانزانية**. واتخذت لنفسها شعارا يُثبت مع اسمها في أعلى كل المراسلات الصادرة منها ومن فروعها.

2- فروع الجمعية:

كانت من الخطوات الأولى التي سهر الإخوان لتحقيقها ومعاينتها على أرض الواقع أن كونوا لجمعيتهم الناشئة فروعا كثيرة، على كامل المحافظات التي يوجد فيها الإباضية في جزيرة زنجبار وفي البر التانزاني، فعلى مستوى كل بلدة نجد مجلسا للأعيان يتولى الإشراف المباشر على كل انشغالات الإباضية فيها ويتكفل بدراسة قضاياه، ثم يكون له ممثل في المجلس العام؛ الذي يتشكل من مجموع ممثلي النواحي، وهو يشكل المجلس الأعلى للجمعية، ففيه تعرض أعمال

المجالس وتدرس القضايا المستعصية والتي تهم الجماعة ككل، وللمجلس اجتماعات دورية لمتابعة أعماله.

3- هيكلة الجمعية:

من الأمور التنظيمية التي اهتمت بها الجمعية أن وضعت لنفسها هيكلا إداريا على شكل لجان عمل وزعت فيها المهام على أعضائها، حسب الأعمال والمطالب الضرورية التي تحتاج إليها الجمعية. فمن بين هذه اللجان:

- لجنة الإشراف على أملاك الإباضية وأوقافهم من مساجد ومدارس ومقابر وأراضي.
- لجنة الإشراف على التعليم الشرعي والعربي.
- لجنة الإشراف على التمويل والنفقات، والاتصالات

كما أشير أن المكاتب الخاصة بكل بلدة على نفس الوثيرة من تقسيم المهام، حسب طبيعة كل بلدة واهتماماتها واحتياجاتها.

ولقد استطاعت الجمعية في هذه الفترة القصيرة من الزمن أن تقوم بمجهودات مهمة جدا في جمع شتات الإباضية هنا، وفي تنظيم صفوفهم، وفي ربط الصلات بين أفرادهم، وإحكام الروابط بين الأماكن المتباعدة.

وبرز نشاطها كثيرا في مجال إعادة بعث التعليم القرآني والتعليم العربي، بعد ما كاد يندثر من هذه الربوع، حيث سعت الجمعية لفتح مدارس لتحفيظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية على كامل التراب التانزاني والزنجباري، أينما يوجد تجمعات إباضية، فتعين

معلما يتولى تدريس التلاميذ في المسجد القريب منهم أو في مدرسة خاصة متواضعة البنيان.

كما عملت الجمعية على فتح معهدين للتخصص في العلوم العربية والشرعية، يضمان القسم الإعدادي والثانوي، فالقسم الإعدادي موجود في بلدة شكشك من الجزيرة الخضراء والقسم الثانوي موجود في جزيرة زنجبار، حيث يقدم إليهما الطلبة من كل محافظات تانزانيا.

وقد خصصت لهم داخليات متواضعة لإقامتهم وهم متفرغون لطلب العلم، ويضم المعهدان حوالي 150 طالبا، واستطاعت الجمعية بمجهوداتها وتحركاتها أن تتحصل على مقاعد للطلبة المتفوقين منهم لمواصلة دراستهم في معهد العلوم الشرعية بعمان.

كما أن الجمعية أولت الاهتمام بالاستثمار في المجال التجاري والصناعي لأجل توفير رؤوس الأموال وتسخيرها لخدمة مشاريعها الاجتماعية والتربوية والتعليمية، حيث سعت لفتح محلات تجارية في العاصمة دار السلام وفي زنجبار، وكذا تأسيس شركات بالأسهم.

والجمعية طموحة في مشاريعها وهي تسعى بإمكانياتها المتواضعة وأمانيها الواسعة وعزيمتها القوية لتحقيق أعمال كبيرة وجادة ستعطي دفعا كبيرا للجماعة هنا للوقوف على رجليها من جديد والانطلاق بخطى ثابتة نحو مستقبل أفضل للإسلام والإباضية في هذه الربوع من العالم.

شكشك - الجزيرة الخضراء - زنجبار

الجمعة: 4 صفر 1420 20 ماي 1999



بعض أعيان بلدة شكشك

جولة في عمق الجزيرة الخضراء

يوم الأحد 14 فيفري 1999م بمناسبة عطلة نهاية الأسبوع عزمت جماعة من الإخوان وبعض الطلبة على القيام برحلة إلى أحد شواطئ الجزيرة بقصد الاستراحة هناك وفي نفس الوقت تعريفنا بما تكتنزه هذه الجزيرة من جمال الطبيعة وروعتها وخيراتها، عُرض علي وعلى الأخ يوسف الأمر ليلا فأبدينا الموافقة بدون أي تردد فقد كنا شغوفين للاطلاع أكثر على خبايا هذه الجزيرة.

في حدود الساعة السابعة والنصف صباحا التأم الجمع المتكون من حوالي سبعة أشخاص منهم الأخوين عزيز الرواحي ووحيد الحضرمي. امتطينا سيارة للجمعية وانطلقنا قاصدين منطقة ساحلية تدعى بالسواحلية فوماومبي vomawimbe ، تبعد بحوالي 40 كلم عن مدينة شكشك وتقع في الحدود الشمالية للجزيرة، وتفصلها بحرا حوالي 30 كلم عن بلدة ممباسة الكينية.

في طريق رحلتنا مررنا بالعديد من القرى والتجمعات السكنية المشاهدة على طرفي الطريق بحيث لا تكاد تغيب أو تنقطع عن مرأى الإنسان، كما استمتعت كثيرا بتلك المساحات الخضراء التي تغطي كل أراضي الجزيرة وتطبع منظرها، فقد كانت مريحة للنفس ومذهبة للقلق ومنسية -ولو لفترة- لمعاناة الابتعاد عن الأهل والوطن التي بدأت أشعر بها.

توقفنا في طريقنا بمحطات كثيرة لاقتناء لوازم الرحلة من أنواع المأكولات والفواكه، والشيء العجيب الذي لفت انتباهي واستغرابي الأولي هو ما أنفقه هؤلاء بدون حساب على مأكلهم ومشربهم.

في إحدى المحطات نزلنا عند أهل قرية غريبة الأطوار، فقد شعرت وأنا بينهم كأني قد انتقلت إلى حقبة زمنية وتاريخية أخرى ليست التي نعيشها الآن. هذه القرية يمتاز أهلها ببساطة العيش وبدائيته ما لم أكن أتوقعه أن أجده في هذا المكان أو أن ألتقي به ذات يوم، رغم سماعي بوجود مثل هؤلاء الناس.

فهم يسكنون في أكواخ صغيرة مبنية بخشب وجريد أشجار جوز الهند، وربما غيرها، ويرتدون أبسط الألبسة الساترة لعورات الإنسان، وأغلب أبنائهم يمشون بدون نعال، ويعيشون هكذا جماعات جماعات تحف بهم مختلف الأشجار والنباتات التي اقتلعوا بعضها ليبنوا مكانها بيوتهم ويضعوا رحالهم وحوانجهم،

كما امتاز هؤلاء القوم بارتفاع نسبة الإنجاب لديهم؛ فأذكر أنه ونحن بينهم جالسين اجتمع حولنا جمهرة من الأولاد الصغار، الذين خرجوا لما شاهدونا من الأكواخ القريبة وممن كان يلعب ويمرح بجوارنا.

جلسنا بينهم وتحاورنا مع بعض رجالهم وحاولت أن أعرف من خلالهم جوانب من حياتهم وعاداتهم وما ينطوي عليه مجتمعهم من أفكار ومعتقدات، فمما عرفته أنهم يمتازون بالتعدد في الزواج وهذا ما ولّد هذا العدد المذهل من الأولاد، كما أن للمرأة عندهم دورا هاما في العمل فإلى جانب القيام بأعباء المنزل وتربية الأبناء فهي تتولى خدمة الحقول وزرعها وجمع ثمارها، وقد شاهدت أكثر من مرة نساء يعملن داخل الحقول وبعضهن كنّ يحملن أبناءهن فوق ظهورهن. أما الرجل فإن عمله إلى جانب الزراعة صيد السمك والتجارة فيه، فالسواحل قريبة منهم ومحيطة بهم.

أما عن ديانتهم فكلهم يعتنقون الإسلام. ومن الغريب أن القوم مع كل هذه البساطة يعرفون للعلم والتعلم قيمتهما ولهما وجود في حياتهم؛ فقد ابتنوا لأبنائهم مدرسة متواضعة متمثلة في ثلاثة أقسام مبنية بشيء من الإسمنت والطين، يتعلمون فيما مبادئ اللغة العربية ويحفظون قصار سور القرآن الكريم، وقد التقيت مع معلمهم هناك وهو شاب في العشرينيات من عمره وتخاطبت معه عن كيفية سير المدرسة، وكان يتكلم العربية بصعوبة كبيرة وقد أخذ دروسا هنا وهناك في زنجبار ودار السلام، وسألته عن اسم المدرسة فقال أن اسمها المدرسة القادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة الصوفية.

هذه بعض مميزات هذه القبيلة وفعلا فإن لله في خلقه شؤونا.

واصلنا رحلتنا بعد أن ابتعنا تيسا من أحد المزارعين بالحي قاصدين شاطئ البحر، وقد استوقفتنا مناظر رائعة البهاء من الأشجار الباسقات التي غطت وجه السماء بكثافتها وجعلت العين تبتهج بالتحديق إليها مليا. كما سلكنا طرقا وعرة ضيقة غير معبدة محفوفة بهذا الغطاء النباتي إلى أن تراءى لنا اللون الأزرق للبحر والسماء، حيث يشعر الإنسان وكأنه خرج من نفق نباتي كان بداخله.

وضعنا رحالنا وأنزلنا أمتعتنا واخترنا لأنفسنا مكانا تحت ظلال الأشجار وأمام مرأى البحر. وبذلك تتيح لي الأقدار أن تقف عيني أمام مشهد للمحيط الهندي ويستمتع جسدي بالسباحة في مياهه.

مباشرة بعد ذلك التأمت الجماعة على هذا التيس المسكين وأودته مذبوحا ثم مسلوخا ثم مخرجا مكامن بطنه ثم مقطعا إربا إربا ثم محضرا للشواء على لهيب الفحم. وتزامنا مع هذا العمل كان كل القوم يلتهمون أنواعا من المأكولات والفواكه التي اصطحبوها معهم بدون حساب ولا نظام.

كما قمنا باكتشاف مناطق من هذا الساحل الفسيح ودخلنا بعض الغابات المحيطة بنا وكان الإخوان في كل مرة يعرفوننا بما نقف عليه من أنواع الأشجار والنباتات.

عدنا من جولتنا بعد حوالي ساعة من الوقت لنقسّم أنفسنا مجموعتين لغرض لعب كرة القدم، ثم تلاه سباحة واستراحة داخل مياه المحيط الدافئة الهادئة. وفعلا فإن اللحظات كانت مريحة ومسلية.

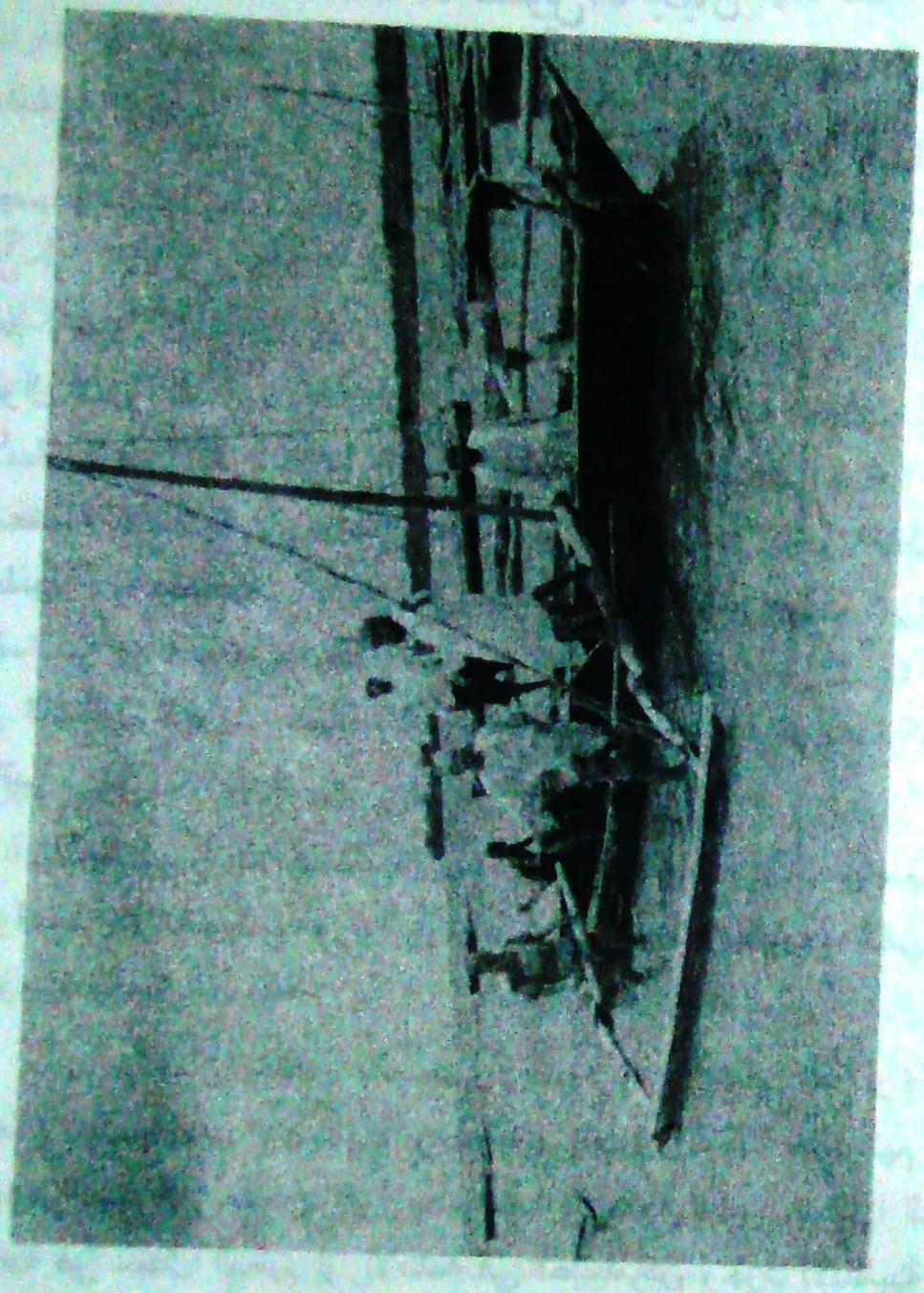
استمر الحال على هذه الصورة إلى أن حان وقت صلاة الظهر، حيث حضّر الجميع لها فرفع أحدنا أذانها ثم أقيمت الصلاة جماعة. وينبغي أن أسجل وبكل صدق أن الجماعة هنا من خلال هذه الأيام الأولى التي قضيتها بينهم في مستوى عال من المحافظة على أداء الصلوات في أوقاتها وبجماعتها مهما كانت الظروف إلا ما نذر.

بعد الصلاة حلقت الجماعة على مائدة الغذاء المتكونة من هذه الكتل الضخمة من اللحم المشوي مع أنواع من الفواكه والمشروبات الغازية. أكل الجميع إلى حدّ التخمة. وبقي الحال هكذا بين دردشات وتبادل لأطراف الحديث إلى أن حان وقت المغرب فأقمنا الفرض ثم ولينا عائدين من حيث جئنا.

هكذا انتهت هذه الرحلة ودخلت ذاكرتي واحتلت فيها مكانها بدون نسيان إلى الأبد، كما أني من خلالها ازددت معرفة واحتكاكا أكثر بالإخوان الزنجباريين كما حصل لهم ذلك مني كذلك.

شكشك – الجزيرة الخضراء

03 ذو القعدة 1490هـ/ 21 فيفري 1999م



رحلة بالقارب على شواطئ زنجبار

معهد الاستقامة للدراسات الإسلامية بزنجبار
قلعة لتكوين الأجيال

الحركة العلمية في زنجبار مشروع حضاري حديث النشأة؛ بدأ تجسيده ميدانيا بعد تأسيس جمعية الاستقامة الاسلامية التانزانية، وكان من أولويات برامجها الاستراتيجية، وقد أضحى مع مرور الأيام من أهم وأبرز انجازاتها هنا، وذلك لكون نشاطه مستمرا دون انقطاع طوال أشهر السنة الدراسية، وأنه يتكفل بثلة من أبناء المجتمع واللبنة الأساسية فيه، التي ستتولى تسلُّم مقاليد الأمور مستقبلا. وكذا لكون المعضلة الأساسية التي يعاني منها أهالي زنجبار هي نقص الإطارات العلمية والاجتماعية، خاصة في جانب العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية والانسانية بصفة عامة؛ هذه النخبة التي سيكون بمقدورها في المستقبل تحريك عجلة الإصلاح والتغيير والتنمية في هذا الوطن الناشئ.

ولأجل بلوغ هذا الهدف النبيل شرعت الجمعية في تأسيس معهدين للدراسات الإسلامية والعربية أولهما في جزيرة زنجبار والثاني في الجزيرة الخضراء.

معهد زنجبار يختص بالمستوى الثانوي، أما معهد الجزيرة فهو يختص بالمستوى الإعدادي، وبعد أن يتناول الطلبة دراستهم في المعهدين لحوالي خمس إلى ست سنوات يكون انتقالهم إلى الحياة العملية في مجال التعليم أو الإمامة في أحد أماكن وجود الإباضية في

محافظات تانزانيا أو قرى الجزيرتين، وفي حال توفر بعض المنح يبعث جملة من الطلبة النحباء المتفوقين لمواصلة دراستهم في معاهد عمان خاصة منها معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد.

في العام الدراسي 1420هـ - 1999م ضمّ المعهدان ما يقارب من 130 طالبا، ثمانون منهم في معهد الجزيرة ببلدة شكشك، وخمسون في معهد العاصمة زنجبار.

والمعهد يستقبل الطلبة من كامل المحافظات الداخلية لتانزانيا التي أذكر منها تانقا، شنينقا، بكوبا، مونزا، طبورا، إضافة إلى جزيرة زنجبار وضواحيها، والجزيرة الخضراء بمختلف قراها، كبلدة مكواني، وِت، كوندي، تومبي إلى جانب عاصمة الجزيرة شكشك.

وهؤلاء الطلبة تتراوح أعمارهم بين 16 إلى 25 سنة، أغلبهم زاولوا تعليمهم في المدارس الرسمية التانزانية أوالزنجبارية، وانقطعوا عنها في المراحل المتوسطة أو الثانوية ليلتحقوا بالدراسة من جديد في معهد الاستقامة.

تخصص لإقامة الطلبة الوافدين من بعيد داخليات، وهي بيوت تكرى هنا وهناك من حواليْ المعهد، يُقسَّمون عليها بحسب قدرة استيعاب كل واحدة منها، وقد قمت بزيارة هذه البيوت أكثر من مرة وعاينت أحوال الطلبة فيها، فأذكر أن في معهد الجزيرة الخضراء ثلاث داخليات لإيوائهم.

أما طلبة معهد زنجبار فأستطيع أن أقول أنهم أحسن حالا من حيث الإقامة مما عليه أحوال الطلبة في الجزيرة الخضراء، وقد حصل لي شرف زيارة بعض هذه الداخليات في زيارتي الثانية إلى جزيرة

زنجبار التي كانت في شهر جوان 1999م، وأقمت أسبوعا كاملا بين هؤلاء الطلبة الذين كان بعضهم لفترة أسبوع في بداية السنة الدراسية طلبة يدرسون عندي فبقيت علاقتي بهم متصلة بعد ذلك، فرحبوا بي كثيرا وأنزلوني خير منزل فجازاهم الله عني كل خير.

وقد حصل لي شرف زيارة أكثر هذه الإقامات التي تعتبر أجنحة تابعة لمساجد الإباضية الكثيرة في زنجبار، حيث قسموا إلى مجموعات كل منها في أحد هذه المساجد وهم من جهة أخرى يتولون عمارتها ويتحملون مسؤولية الإمامة ويتدربون على بعض النشاطات فيها.

أما عن الطاقم المسير للمعهدين فهو يتكون من أساتذة وإداريين لا يتعدى عددهم أصابع اليد، كلهم شباب في العقود الثانية والثالثة من عمرهم. أغلبهم ممن زاول تعليمه في معاهد عمان ورجع للاستقرار في بلده والإسهام في تحريك عجلة العلم والتربية فيه.

وقد حصل لي شرف التعرف عليهم أكثر والاقتراب منهم والإقامة بين أظهرهم لفترة من الزمن، حيث قصدت معهدهم أكثر من مرة وعاينت جوانب من أنشطته وأعماله وجهوده العلمية في تكوين الطلبة. كما عرفت طموحات أساتذته الكرماء وأفكارهم النبيلة ومجهوداتهم وتضحياتهم الجسيمة في تسيير شؤون المعهد وتحريك دواليب المجتمع والإشراف على كل جوانب الحياة فيه، رغم قلة عددهم وإمكاناتهم. فجازاهم الله كل خير ووفقهم في صالح أعمالهم.

أما عن معهد الاستقامة في الجزيرة الخضراء الواقع في بلدة شكشك، فهناك كان محور عملي ونشاطي وتحركي، وهناك كان مدار أيامي التي قضيتها في هذا البلد الطيب وأهاليه الأعزاء عليّ.

هذا المعهد الذي حصل لي شرف التدريس فيه، والذي قضيت بين أروقته وبين قاعات الدراسة فيه أزهى أيام حياتي في جدية العمل والعطاء العلمي وفي تبليغ رسالة العلم والمعرفة وتكوين جيل من الطلبة، رأيت فيه الاستعداد للتلقي والمحبة والشغف بطلب العلم وتحصيله، وكذا رأيت فيهم آداب الطلبة في التعامل مع أستاذه بالاحترام له وبالوقار في قاعات التحصيل.

لذا فأنا معتز وفخور أن أكون ممن أسهم في بعث الحركة العلمية لهذا المعهد وفي هذا البلد، وممن أسهم في تنوير الأجيال الأولى التي سيكون بيدها مشعل قيادة مجتمع زنجبار وتانزانيا مستقبلا، نحو حضارة صحيحة قويمة وممن سيرجع مكانة الأخلاق والعلم وصفاء الإسلام في هذا البلد الإسلامي الناشئ.

أما عن الجانب العلمي للمعهد فهو يحتوي على تكوين ذي شقين أساسيين شق لغوي وشق شرعي، وطبعا فإن أحدهما مكمل للآخر.

فلكون معظم الطلبة يقدمون إليه وهم في مستوى ضعيف جدا في اللغة العربية، فقد خصصت لهم مواد تجلعهم يتمكنون من التحكم في اللغة شيئا فشيئا، وهذه المواد هي المطالعة ودراسة النصوص، قواعد النحو، الحوار ، قواعد الإملاء، التعبير.

أما مواد العلوم الإسلامية فتتمثل في التفسير والحديث والتربية الإسلامية والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والإباضي.

ويعتمد في تدريس هذه المواد على جملة مراجع أهمها تلك التي تعتمد لدى المدارس العمانية في مواد التربية الإسلامية واللغة العربية. ويعتمد على كتاب النحو الواضح لتدريس مادة النحو، وقد اعتمدت

على كتاب الواضح في التاريخ الإسلامي والإباضي للأستاذ محمد بكير أرشوم في تدريس مادتي السيرة النبوية والتاريخ الإباضي. وهكذا تنوعت المصادر وجمعت بين عمان ومصر والجزائر.

وقد سعينا في إدراج حصة خاصة بحفظ القرآن الكريم، وخصص لها فترة ساعة يوميا يتولى فيها الطلبة حفظ واستظهار قسط من القرآن الكريم. وقد اتبعنا في ذلك نفس نمط ومنهج تحفيظ القرآن الكريم في مدارس وادي ميزاب، وذلك بكتابة ما يراد استظهاره في كراسة خاصة، مع ضبط النص بالشكل، وتصحيح ما فيه من أخطاء، ثم اسظهاره. وتوصية الطلبة وحثهم على مراجعة ما استظهروه والحفاظ عليه، والعودة لاستظهاره مجملا كلما تمكنوا من انهاء حصة معينة، حددناها بجزء من القرآن الكريم، أي حزبين بحسابنا نحن المغاربة.

وكانت غاية هذا العمل هي تمكينهم من حفظ جزء لا بأس به من كتاب الله تعالى، ليكون حافزا ودافعا لهم للسعي والجد لاستكمال حفظ القرآن بأكمله بالموازاة مع مشوارهم العلمي وباغتنام أوقات فراغهم وعطلهم. وهو ما سيساعدهم على اتقان نطق اللغة العربية والتغلب على صعوبات إخراج بعض حروفها من مخارجها الصحيحة. وهذا ما يعاني منه اللسان السواحلي.

ولله الفضل فإن التجربة القصيرة لهذه الفكرة قد آتت تمارا طيبة، فقد تمكن جل الطلبة من حفظ قسط من القرآن الكريم، كما برز بعضهم فتمكنوا من حفظ ما يقارب ربعا منه في فترة خمسة أشهر. وأعتقد أن الإخوان المسؤولين في المعهد لو اهتموا بالفكرة أكثر وواصلوا على نفس ذلكم النمط الذي اعتاد عليه الطلبة مع مرور

الأيام، لتمكن عدد من النجباء من استظهار القرآن بأكمله مع ما تبقى لهم من سنوات الدراسة في معهدَيْ الجزيرة وزنجبار.

هذا أما عن الحجم الساعي للدراسة فيقدر بخمس ساعات يوميا أربعة صباحا والخامسة مساء بعد العصر، حيث يتبادل الأساتذة القاعات بين مستويات الطلبة الثلاثة من ساعة إلى أخرى. وللطلبة نشاط بين المغرب والعشاء في المسجد أو مكتبة المعهد للقيام بالواجبات والتحضير ليوم الغد.

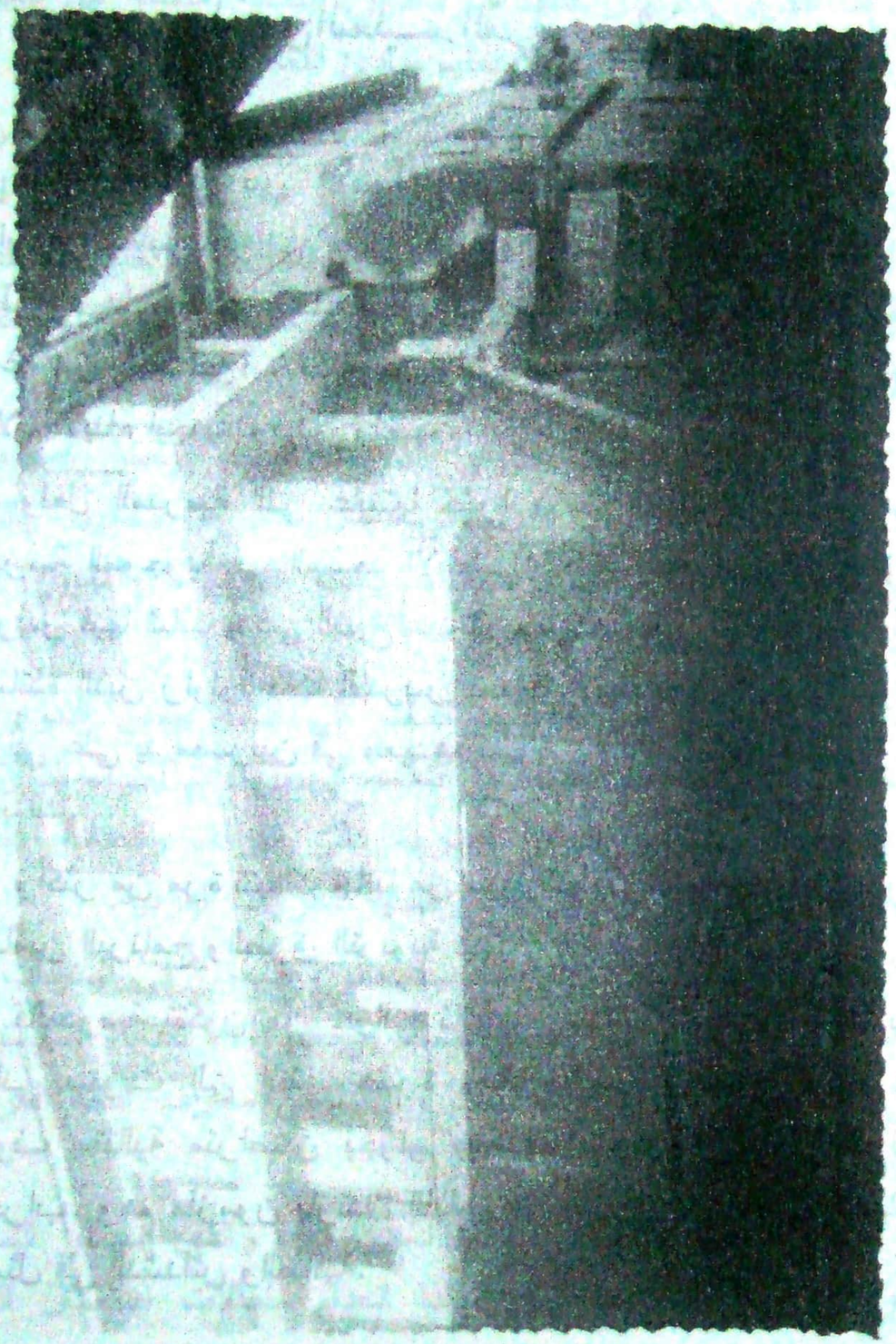
ويحتوي المعهد على مكتبة خصص لها الطابق الأول للبناية، بينما قاعات التدريس خصص لها الطابق الثاني، هذه المكتبة في حقيقة الأمر تحتوي على ما تفضلت به الهيئات الرسمية والعرفية والمبادرات الشخصية في عمان من كتب ومجلدات وموسوعات في الشريعة الإسلامية والعلوم العربية والتاريخ، سواء ما تعلق منها بالتراث الإباضي أو التراث الإسلامي ككل.

وأعتقد من خلال تجربتي المتواضعة بالمعهد أنها لا تلبي ولو شيئا قليلا من احتياجات الطلبة الحقيقية وأن الاستفادة منها تكاد تكون منعدمة، والسبب في ذلك -كما نبهت الإخوان المسؤولين له أكثر من مرة- أن مستوى تـــلكم الكتب لا يتناسب أبدا مع المستوى العلمي للطلبة، فضعفهم في اللغة العربية لا يسمح لهم بالرجوع إلى تلك المصادر أو فهم وإدراك مكامنها. لذا فقد اقترحت عليهم كذا مرة أنه ينبغي تزويد المكتبة بكتب تكون أكثر بساطة في التعامل مع العلوم العربية والشرعية تتناسب مع مستواهم، وكذا تزويدها بكتب القصص والروايات المفيدة، وبالكتب الميسرة لتعلم اللغة العربية.

ولعل الأمر يختلف تماما بالنسبة لمكتبة معهد جزيرة زنجبار، فهي عامرة بمختلف المصادر والمراجع في فنون العلوم الشرعية والإنسانية بصفة عامة، وفيها فرع للأشرطة السمعية والسمعية البصرية، كما أنها مجهزة كذلك بالوسائل الإعلامية الحديثة. هذا ما جعلها تحمل طابع المكتبة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، كما أن الطلبة بعد التكوين الذي يكونون قد تلقوه في معهد الجزيرة الخضراء يصبح بمقدروهم أكثر التعامل والاستفادة مما تحتويه مكتبتهم من كنوز معرفية ثمينة.

هذا هو واقع معهد زنجبار للدراسات الإسلامية، وهذه صورة مقربة لحاله، وكما هو واضح من المقال أن هذا الإنجاز العلمي لا يزال في خطواته الأولى وقد حقق نتائج علمية ثمينة جدا، وسيشهد إن شاء الله تعالى في المستقبل تطورات أكثر فأكثر بتكاثف جهود الإخوان المسؤولين في مجالي العلم والمال.

الجزائر في: 05 ذو الحجة 1420هـ/ 11 مارس 2000م



مدارس التعليم القرآني في زنجبار

خلال إقامتي بين الإخوان الزنجباريين تعرفت على نماذج لمدارس التعليم القرآني على مستوى المساجد الإباضية المترامية الأطراف على كامل أنحاء الجزيرة. حيث يُستغلّ المسجد في أوقات فراغه من المصلين؛ خاصة بين وقتي صلاة المغرب والعشاء لتعليم هؤلاء الأبناء أبجديات دينهم ولغتهم.

ولعل المدرسة التي عاينتها كثيرا وكنت على القرب منها هي المدرسة الموجودة في المسجد الإباضي العتيق بمدينة شكشك. يتولى التدريس فيها شاب يدعى الشيخ عبد الرحمن؛ شافعي المذهب وهو أحد الأساتذة الذين زاولوا معنا التدريس بمعهد الاستقامة، وقد تلقّى تكوينه العربي على يد مصريين في معهدهم بالعاصمة دار السلام كما أخبرني هو بذلك.

وأكثر من مرة تتبعت جانبا من سير الدروس فيها وحاولت معرفة مضامين البرنامج والطرق التربوية المتبعة في تسييرها.

فالمدرسة تتكون من حوالي ثلاثين تلميذا تتراوح أعمارهم بين الثماني سنوات إلى إثنتي عشرة سنة، يجلسون على الأرض في صفوف متتالية متراصين بجوار بعضهم البعض في أحد أطراف المحراب. وهم ملزمون بارتداء اللباس الزنجباري ذي الأصل العماني المتمثل في الدشداش والطاقية.

أما فحوى الدروس فتتضمن محاور أساسية متمثلة في تحفيظ القرآن الكريم والحديث النبوي وتعليم مبادئ اللغة العربية

ففي مادة القرآن الكريم يتولى المعلم تلقين التلاميذ الآيات المراد حفظها ثم يكرر وراءه التلاميذ ذلك لمرات عديدة ثم يختبرون فيما حفظوا فرديا، ويكرر نفس الطريقة مع الآيات الأخرى حتى يتم حفظ ما يراد حفظه. كما يدرب التلاميذ على استعمال الترتيل أثناء الحفظ والقراءة.

أما في مادة الحديث النبوي الشريف فتختار بعض نصوص الحديث القصيرة والمناسبة فيتولى المعلم شرح معانيها باللغة السواحلية، ويطالب التلاميذ بحفظها باللغة العربية، والتعبير عن خلاصة معناها بالسواحلية.

أما عن اللغة العربية فيلجأ المعلم إلى كتابة بعض الحوارات البسيطة ثم شرح معانيها، ومطالبة التلاميذ بحفظها، ثم إجراء التمارين عليها، كما يستعملون الدفاتر للتدرب على القراءة والكتابة، قصد تطويع اللسان السواحلي على النطق السليم للحروف العربية.

لكن مع هذا لاحظت أن التلاميذ يعانون صعوبة في استيعاب ما يُقدّم لهم من دروس، كما يعانون ضعفا في القراءة والكتابة السليمتين. وفي مقابل ذلك فإن لديهم استعدادا وحبا لتلقي معارف اللغة العربية وعلوم الدين.

ولعل الوسط الاجتماعي الذي نشؤوا فيه، والذي يسيطر اللسان السواحلي على كل معاملاته، وكذا انعدام مجالات استعمال اللغة

العربية، وتخصيص أوقات زهيدة لتعلّمها، كل هذا صعب من مهما تعليمها وتعلّمها.

هذه الدروس تقدم للتلاميذ مدة ساعة تقريبا؛ بعد فراغ الناس من صلاة المغرب إلى أذان العشاء، وبعد الأذان يقوم كل التلاميذ للتدرب على أداء صلاة العشاء جماعة، حيث يتقدم أحدهم ليؤمهم ويتولى المعلم مراقبة حركاتهم اثناء الصلاة ويقومها كما يراقب قراءة الإمام ويصوب ما فيها من أخطاء. وبانتهاء الصلاة تكون الحصة قد أتت على نهايتها لينصرف التلاميذ إلى اليوم الموالي. وتدوم الدراسة خمسة أيام من الأسبوع، من يوم السبت إلى يوم الأربعاء.

هذه هي المحاور الأساسية التي يدور عليها التدريس في كامل المدارس القرآنية في الجزيرة الخضراء، وهي إلى حد بعيد متطابقة في البرامج ومتقاربة في طرق التبليغ والتوقيت الدراسي.

يشرف عليها جماعة من المعلمين إباضية وشوافع ، ممن تمكن من الحصول على دروس اللغة العربية هنا وهناك في زنجبار أو دار السلام أو غيرهما.

كما أن للمدرسين لقاءات دورية تجمعهم لتنسيق جهودهم ودراسة قضاياهم وترتيب أمورهم والاستفادة من خبرات بعضهم البعض. وقد حضرت جانبا من أحد هذه الاجتماعات في مدينة شكشك وحضره ما يزيد عن عشرة معلمين.

ومما ينبغي أن أشير إليه هنا أن الجماعة خلال وجودنا في شكشك فتحت فرعا جديدا للتعليم القرآني الخاص بالبنات، وقد لاقى إقبالا جماهيريا كبيرا لم أكن أتوقعه، حتى اضطرت الجماعة إلى غلق

أبواب التسجيل بعد أيام من فتحها بسبب اكتظاظ القاعات، بعد أن بلغ عدد البنات ما يقارب من مائتين، وبعثت العائلات ببناتها للدراسة من كل أنحاء شكشك سواء الإباضية منها أو الشافعية.

وتمّ تقسيمهن إلى ثلاثة مستويات حسب دراستهن في المدارس الحكومية وبحسب أعمارهن التي كانت تتراوح بين الخمسة أعوام إلى إثني عشر عاما.

وقد خصصت لهن قاعات معهد الاستقامة للدراسة فيها في الوقت ما بين صلاة المغرب والعشاء.

وممن تولى الإشراف ومعاينة التعليم فيها الأخ يوسف، وأشهد أنه قد أبلى بلاء حسنا فيه وبذل مجهودا معتبرا كان فوق طاقته أحيانا، ليقدم لهن خلاصة وزبدة تجربته في مجال تعليم البنات التي تحصّل عليها من خلال ممارسته لها في مدرسة الحياة بوادي ميزاب.

فأذكر أني كنت أغتنم هذا الوقت للاستراحة في البيت أو القيام ببعض شؤوني الخاصة؛ لكن كان هو يتوجه إلى قاعات المعهد لمتابعة أحوال الدراسة فيها والانتقال من مستوى إلى آخر مرشدا وموجها ومراقبا لكتابة التلميذات وقراءتهن ومقوما لها.

ومع مرور الأيام وأثناء زياراتي المتفرقة لمشاهدة هذا النشاط لاحظت أنه قد اكتسب قلوب هذه البراءة فأصبحن متعلقات به كما أصبح هو كذلك، فكنّ يضعنه في مكانة آبائهن، وكان هو يعتبرهن بمثابة بناته. وهذا خاصة أثناء تدريبه لهن على حفظ الأناشيد بألحانها الجميلة في الحصة المخصصة لذلك، حيث لم يعتدن على مثل هذا

النشاط من ذي قبل، فكان صوتهن يسمع من مشارف شكشك، وكن يتمنين هذه الحصة كثيرا ويطربن لها أيما طرب.

ولا أنسى أن أذكر أن بعض الطلبة النجباء كانوا ممن يسهم ويساعد في هذا النشاط بالمشاركة في التعليم والمراقبة، وذلك مع التلقي المستمر للمعلومات والتوجيهات التربوية من الأخ يوسف.

كما حاولت أن أضع برنامجا مسطرا يحمل تصورا لسير هذه المدارس، مع تطعيمه وتزكيته بتجربة مدارس وادي ميزاب، وكان ذلك بطلب من المسؤولين هناك وقد عرضته عليهم، لكن لم تسمح لي الظروف معرفة ما مدى استفادة الإخوان منه. وأرى من الأنسب والأفيد أن أضمنه نص المقال هنا، وهو كالآتي:

مشروع برنامج المدارس القرآنية لتلاميذ زنجبار

1 - المواد المدرّسة:

-مادة القرآن الكريم

-مادة الحديث النبوي الشريف

- مادة اللغة العربية

- مادة المحفوظات، تتضمن: الأناشيد والأدعية

2 - حصص المواد:

1-حصة القرآن الكريم:

هي حصة يومية يحفظ فيها التلاميذ القرآن الكريم تلقينا، حتى يتمكنوا من الحفظ الصحيح الجيد للآية والسورة، على أن يبتدأ الحفظ بالسور القصار، ويركز على الحزب الأخير. أي النصف الثاني من الجزء الأخير.

2- حصة الحديث النبوي الشريف:

يخصص لها حصتان في الأسبوع، وتختار جملة من الأحاديث التي يتوفر فيها القصر وسهولة الكلمات وتضمّن المعاني ذات الأبعاد الإيمانية و الأخلاقية والتربوية. فيتم تحفيظها للتلاميذ تلقينا بعد أن تكتب لهم في الصبورة ويقوموا بنقلها في دفاترهم الخاصة. ثم تقدم لهم شروح عليها بالسواحلية لإدراك معانيها.

3-حصة اللغة العربية:

هي حصة يومية يركز فيها على إتقان نطق الحروف الأبجدية للغة العربية نطقا سليما بإخراجها من مخارجها الصحيحة، والتركيز على الحروف التي يصعب على اللسان السواحلي النطق بها مثل القاف والضاد.

ثم تعلم الحركات والمدود والتفريق بينها، ثم الانتقال إلى تشكيل الكلمات وتركيب الجمل والتدريب على قراءتها قراءة سليمة. على أن تحتوي هذه الحصة على:

- القراءة الجماعية والقراءة الفردية للدرس

- الكتابة على صبورة المعلم وعلى ألواح التلاميذ
- الكتابة على الدفاتر الخاصة بالتلاميذ
- استعمال طريقة الإملاء والحوار والمحادثة في تبليغ كل هذا.

4- حصة المحفوظات:

تخصص لها ثلاث حصص في الأسبوع، يلقن فيها التلاميذ بعض المحفوظات السهلة والقصيرة من الأناشيد والأدعية حتى يتمكنوا من حفظها حفظا سليما متقنا، على أن يختار لها ألحانا جميلة تجعل التلاميذ يتشوقون لسماعها وحفظها.

والقصد من هذا تدريب ألسنتهم على حفظ الكلام العربي والنطق بحروفه نطقا سليما.

3- البرنامج الأسبوعي لسير الدروس

التوقيت / الأيام	20 دقيقة	20 دقيقة	20 دقيقة
السبت	حصة القرآن	تلقين جماعي ثم قراءة فردية لدرس اللغة	حصة الحديث
الأحد	حصة القرآن	التدريب على كتابة الدرس في الألواح	حصة الأناشيد
الإثنين	حصة القرآن	إملاء أو حوار أو محادثة	حصة الأدعية
الثلاثاء	حصة القرآن	التدريب على الكتابة في الدفاتر	حصة الحديث
الأربعاء	حصة القرآن	مراجعة عامة وتركيز للدرس	حصة الأناشيد

- وضع البرنامج في تاريخ: 09 فيفري 1999م .

شكشك – الجزيرة الخضراء

الجزائر في: 25 ذو القعدة 1420هـ/ 1 مارس 2000م



طلبة معهد الاستقامة

صلاة الجمعة في الجزيرة الخضراء

صلاة الجمعة في شكشك صورة من صور التقاء المسلمين على صعيد واحد، وصورة معبرة على أن أهل هذه الجزيرة متمسكون بـــدينهم، فباقتراب موعد الصلاة تغلق كل الدكاكين وتُـــشل كل حركة تجارية، فيتوجه سائر الناس إلى المسجد للاستماع إلى الدرس وإلى خطبة الجمعة. كما أن تأخر الإنسان عن موعد بداية الخطبة يجعله لا يجد له مكان داخل المسجد.

ولكون غالبية الناس هنا لا تعرف ولا تفهم اللغة العربية فإن أهل البلدة اعتادوا أن يقدموا شرحا لمضامين خطبهم باللغة السواحلية على شكل درس يلقى قبل الأذان للصلاة بحوالي نصف ساعة، وبعد الأذان تلقى الخطبة باللغة العربية ثم يقوم الجميع للصلاة.

وأشير هنا أن الجماعة الإباضية لديها أربعة مساجد في الجزيرة تقام فيها صلاة الجمعة، أما غيرها - التي تربو عن السبعين كما ذكر لي الإخوان هنا- فهي تكتفي بالصلوات الخمس. ولعل نقص الكوادر المتخصصة في العلوم الشرعية من الأسباب الرئيسة لعدم إقامة صلاة الجمعة فيها.

كما أن الجماعة تعتمد أساسا في خطبها على ما يصدر في عمان من كتيبات تتضمن خطب الجمعة فتقوم بترجمتها إلى السواحلية وشرحها، ثم قراءتها على الناس كما هي.

وقد ناقشت بعض الإخوان في المسألة معترضا على هذه الفكرة لأسباب أهمها أن هموم وانشغالات المجتمع العماني ليست نفسها تلك التي في زنجبار؛ بل تختلف عنها كثيرا، وأن مستوى تطور المجتمع العماني وظروفه الاجتماعية والمادية يختلفان أساسا على ما عليه المجتمع في زنجبار. لهذا كان من الأحرى على الجماعة أن تتولى تحضير خطب تتلاءم وتنسجم مع واقع وتطلعات المجتمع في زنجبار، وتتناول بالدراسة ما يهمهم ويشغلهم من قضايا حتى تكون أنجع وأفيد للناس. وما لاحظته أن نقص الكوادر العلمية هو السبب الرئيس لمثل هذه الأمور، فكان اللجوء إلى هذه الطريقة لتخفيف الأعباء. ولعل المستقبل القريب للجماعة سيكون أحسن حال إن شاء الله وبإمكانهم تدارك هذا النقص.

ومما أسجله كنقطة إيجابية في صلاة الجمعة أن هذا المنبر سخر لبعض الطلبة النجباء ليتدربوا من خلاله على إلقاء الخطب وتقديم المواعظ. حيث تعطى لهم الفرص ويفسح لهم المجال للمشاركة في هذا النشاط، ويعتمد عليهم كلية عند غياب مشايخهم.

شكشك في: 01 ذو القعدة 1419هـ/ 19 فيفري 1999م



السلطان برغش حاكم زنجبار 1870-1888

عالم عماني

في زيارة تفقدية لإباضية زنجبار

خلال شهر ماي 1999م قدم الشيخ حمود الصوافي أحد أعلام الإباضية بسلطنة عمان في زيارة تفقدية واطلاعية على أحوال الإباضية في تانزانيا وزنجبار، وقد كان برفقة الشيخ عدد من طلبته، الذين هم الآن أساتذة وموظفون. والشيخ ممن يرجع إليه الفضل في تخريج أجيال متعاقبة من الطلبة في العلوم الشرعية، هذا ما أكسبه محبة جماهير غفيرة في كامل أرجاء عمان بسبب ما تفضل به من مجهودات في نشر العلم والخلق، والله تعالى حرمه من نور البصر وعوّضه بنور البصيرة والتقى والعلم.

استقبلت الجماعة الإباضية وكافة أهالي زنجبار الشيخ بكثير من الترحاب والمودة والتقدير وخصصت له وفدا من أعيانها وأساتذتها لمرافقته في كل أسفاره وزياراته لقرى الجزيرة.

وقد أبلى الشيخ بلاء حسنا حيث كان له نشاط مكثف عبر عدد من مساجد الإباضية والشافعية يلقي فيها الدروس ويعظ فيها الناس ويلتقي فيها الجماهير يفتي ويبين لهم ما أشكل عليهم من أمور دينهم.

أما عن بلدة شكشك فقد وصلها في يوم الإثنين 17 ماي قادما إليها من جزيرة زنجبار، وكانت إقامته بيننا في نفس منزل إقامتنا، وقد قام أفراد من الجماعة الإباضية هنا بالتفرغ لمواكبة نشاطه، وتهيئة الظروف المناسبة لاستقباله وإقامته. فقد كان يُكرَم من بيت لآخر، ويرافق من مكان لآخر.

فألقى دروسا في مسجد الإباضية بعد صلاة المغرب وبعد صلاة الصبح، كما زارنا ونحن ندرس في معهد الاستقامة وتفقد أحوال الطلبة واختبر مستواهم العلمي وقدّم لهم إعانات مادية.

كما كان له بعد العصر بقاعة مكتبة المعهد لقاء عاما مع النساء قدّم لهن مواعظ فقهية عن دينهن وخصوصيتهن وواجباتهن الزوجية والأسرية.

والحمد لله أن أتاحت لنا الأقدار أكثر من فرصة للتقرب من الشيخ والسّماع منه والاستفادة من علمه وتجربته في الحياة، وقد قرأت فيه وأنا أتحادث معه تواضعه العالي ونكرانه التام للذات وأخلاقه السامية وحبه للآخرين، فقد اجتمعت لديه أخلاق العالم الحق.

كما عرفت من أعضاء الوفد المرافق له أن للشيخ في عمان مدرسة للعلوم الشرعية والعربية ، يقدم إليها الطلبة من كامل أنحاء عمان وكذا خارجه، يشرف عليها ويتولى تكوينهم خلال عطل الصيف، ويتكفل بالتغطية الكاملة لإقامتهم ونفقاتهم.

بعد إقامة دامت يومين غادر الشيخ شكشك متجها إلى بلدة "وت" في الحدود الشمالية للجزيرة الخضراء مواصلا رحلته لتفقد أحوال الإباضية هناك.

ومن خلال نشاط الشيخ هذا في شك شك اكتشفت حقيقتين اثنتين متعلقتين بالجماعة الإباضية وتيقنت من صحتهما.

أولاهما أن الإباضية في زنجبار ذوو علاقة وطيدة وراسخة بإباضية عمان وعلمائها، وأنه ليس بالإمكان زعزعة هذه العلاقة أو اجتثاثها بأي حال من الأحوال.

وأن عمان هو مصدر القوة والثقة لدى الإباضية الزنجباريين في جانب العلم والشرع وفي جانب الأصل والجنس.

وثانيهما أن الإباضية الزنجباريين يعيشون في مستوى من الحرية الفكرية والعقدية والتوجه الديني والمذهبي، وحرية النشاط في هذا الإطار ما ليس موجودا في غيره من الأماكن التي يوجد الإباضية فيها، ربما حتى في عمان ذاتها. رغم أن بعض الإخوان يشيرون أن هناك مراقبات لتحركاتهم، إلا أني أشهد من خلال إقامتي بينهم أنهم يتمتعون بقدر من الحرية ما يحسدون عليها في الأوطان الأخرى للمسلمين عامة.

فمما أذكره واستوقفني في رحلة الشيخ هذه وجعلني أرى معالم هذه الحرية وضوح الشمس وأدرك ما مدى أبعادها وحدودها، أن الشيخ أثناء إلقاء دروسه في جامع الإباضية بعد صلاة الصبح كانت

مكبرات الصوت تنقل كلامه خارج المسجد مما يجعل الإنسان يسمع كل ما يقوله بكل وضوح وهو في بيته في أي ناحية من نواحي بلدة شكشك.

هذه صورة أخرى ومعلم ووجه آخر لواقع حال الإباضية في جزيرة زنجبار.

شكشك-الجزيرة الخضراء

08 صفر 1420هـ/ 25 ماي 1999م

علاقة صفاء ومودة مع زنجباري

الشيخ صالح الخروصي أحد الإخوان التجار هنا في بلدة شكشك، وهو أحد أولياء الطلبة في معهد الاستقامة، فله ثلاثة من الأبناء يدرسون به، والشيخ صالح رجل صالح فعلا، فقد وهبه الله تعالى نعمة التواضع وحسن الخلق وطيبة النفس وصفائها، كما وهبه الله بساطة العيش وهناء الحياة وسعادتها، فهو ممّن سخره الله تعالى لنا ليخفف عنا من أعباء الاغتراب ووطأته وافتقاد الأهل والوطن.

فقد أحبنا كثيرا ورفعنا -رفعه الله- إلى مرتبة من التقدير والاحترام ما لم نشهد مثلها إلا قليلا، وقد انتقل حبه هذا ليعُمَّ كل أفراد أسرته. فترجم هذه العلاقة الأخوية الصافية والصادقة التي ربطته بنا إلى لقاء على مائدة الغذاء في بيته بين أحضان أسرته مرتين خلال كل أسبوع -أنا والأخ يوسف والأخ سليمان الطيواني أحد المسؤولين الإداريين في المعهد والمقيم معنا في البيت-

وكانت إمرأته الفاضلة في كل مناسبة تحرص لأن تقدم لنا أشهى وأطيب ما تجيد يداها الكريمتين طبخه، وفعلا فكنا نشعر ونحسّ بإخلاصها وتفانيها في عملها ونحن نتذوق أكلاتها وما تقدمه لنا من أطايب الطعام-فجازاها الله وجازى زوجها خير الجزاء وحفظ لها أبناءها وأصلحهم.

لقد كان خلال كل يوم نكون في موعد للغذاء عنده يأتي إلينا بسيارته إلى أمام منزل إقامتنا ليأخذنا إلى بيته الذي يقع في ضواحي بلدة شكشك يبعد عن قلب المدينة ببضع كيلو مترات، داخل الأشجار الكثيفة المحيطة به من كل الجهات. ثم يرجع بنا إلى باب منزلنا بعد الفراغ من الغذاء.

وقد كانت هذه الولائم تسبقها وتتخللها وتتلوها دائما أجواء من الفكاهة والطرافة والترويح عن النفس بما كان يُجيده علينا هذا الرجل من لسانه العذب ومن ابتساماته الصادقة ومما كنا تستفيد به من محادثاته عن أحوال زنجبار وتاريخهم وبعض عاداتهم رغم أنه كان لا يجيد تكلم اللغة العربية، وكثيرا ما كان يستعين بإبنه الأكبر ليترجم لنا أفكاره وأحاسيسه، كل هذا جعلنا نشعر ونحن بينه وبين أهله بِأريَحيَّة خاصة، وهذا ما جعلنا نتوق إلى هذه الجلسات الإخوانية وننتظر قدوم موعدها بفارغ الصبر.

ولم يقتصر فضل هذا الرجل الصالح علينا في هذه النفحات الربانية التي كنا نقضيها بين أهله، بل كان في أكثر من مرة يقترح علينا القيام برحلات في أنحاء الجزيرة في سيارته برفقه أبنائه. فقد اكتشفنا من خلاله عدة أماكن حصل لنا شرف التعرف عليها بفضله وكرمه لأول مرة.

فمما أذكره أنه في إحدى هذه الرحلات قصدنا بلدة ويشة wisha البعيدة عن شكشك بمسافة 7 كيلومتر، فقد سلكنا طرقا وعرة مُحطّمة بسبب قدمها وبسبب كثرة تساقط الأمطار، وتجمُّع الأوحال التي صعّبت من مهمة المرور عليها.

لكن في حقيقة الأمر أن ما حبى الله تعالى به هذه الجزيرة من الخيرات التي تتهاطل من السماء والأخرى التي تخرج من الأرض تجعل الإنسان لا يضجر ولا ينتابه القلق ولا التعب بهذه العوارض، حيث يجد أن ما يحيط به من حدائق غناء ومن عليلية الهواء وصفاء السماء أحيانا وتلبد السحب فيها أحيانا أخرى ينسيه كل ما ضيّع الإنسان إصلاحه، ويجعله يتناسى ذاته داخل هذا الإبداع الرباني المنقطع النظير.

وصلنا هذه القرية الصغيرة بعد طريق أمضيناه في ضحك ومرح وتبادل لأطراف الحديث ومعرفة لأحوال الزنجباريين وتعلّم لبعض كلمات لغتهم السواحلية. فاتجهنا إلى شاطئها الذي هو ميناء صغير تبحر منه السفن المتجهة إلى بلدة ممباسة الكينية وكذا إلى العاصمة دار السلام، لغرض الصيد والتجارة.

كما اغتنمنا الفرصة لنجالس بعض الصيادين هنا وقائدي السفن ونحاول معرفة بعض أخبار الصيد وتقنياته وأحوال وأهوال الرحلات داخل البحار.

كما اغتنمنا بعض الوقت كذلك للسباحة رغم أن الأمطار كانت تنزل من حين لآخر، فهكذا طقس الجزيرة؛ كل التقلبات التي تشهدها السماء يمكن أن تحصل خلال اليوم الواحد أو بضع منه.

وهكذا ففي حدود المغرب ولّينا أدراجنا بعد أن تركنا وراءنا حطام الأتعاب الذي ملأ أطراف أجسادنا بالعمل طوال أيام الأسبوع.

ومما استوقفني ونحن في طريق عودتنا مجمع سكني توقفنا به لتناول بعض المشروبات، فلاحظت أن هؤلاء الأهالي في بعض بيوتهم

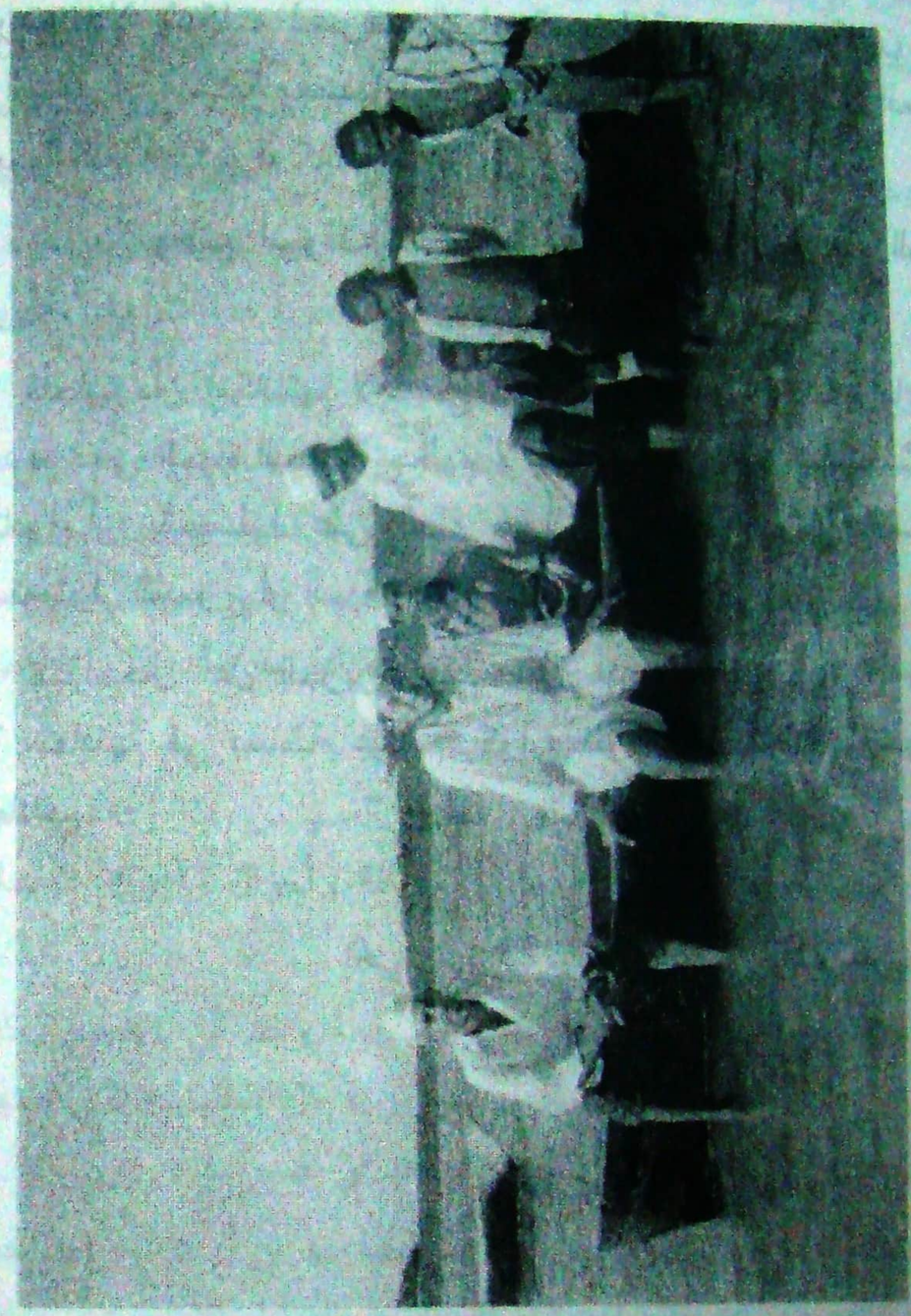
لا يمتلكون الإنارة الكهربائية وليس لديهم شبكات لاستقدام المياه المعدة للشرب ولا شبكات لصرف المياه المستهلكة. وهم يسكنون بيوتا متواضعة جدا مبنية بعضها بخشب الأشجار وجريدها، مع العلم أن الخيوط الناقلة للكهراء كانت مارة فوق رؤوسهم.

هذا ما جعلني أستوقف الشيخ صالح سائلا إياه عن هذه الظاهرة الغريبة.

فأجاب بأن إمكاناتهم لا تسمح لهم باقتناء الماء ولا الكهرباء، وأن تعودهم على الحياة البسيطة جعلهم لا يبالون بمثل هذه المستحدثات.فقد اعتادوا أن يتحصلوا على الماء سقيا من بعض الآبار المجاورة، ويستعملوا الشموع أو السراج الزيتي للاستنارة.

هكذا حال أهل الجزيرة، فهم بمثل هذه الأمور تميزوا، وجعلوا سرّ سعادتهم في بساطة عيشهم. كما جعلوا من بساطة عيشهم سرا لسعادتهم.

الجزائر في: 23 ذو القعدة 1420هـ/ 29 فيفري 2000م



رحلة في شوارع الجزيرة الخضراء

وفد عماني يزور بلدة شكشك

يوم الخميس 11 فيفري 1999م قدم إلى الجزيرة الخضراء وإلى عاصمتها شكشك وفد متكون من ثلاثة أشخاص من وزارة الأوقاف بسلطنة عمان، وكان برفقتهم الشيخ ناصر خليفة الحضرمي؛ أحد الوجوه البارزة للجماعة الإباضية في زنجبار.

وذلك لغرض معاينة مشروع المسجد الإباضي الذي تتولى السلطنة بناءه وتتكفل بالنفقة عليه بالتعاون مع الجماعة الإباضية هنا، والمسجد اقترب من نهايته وهو يقع في أحد الشوارع الرئيسية للبلدة، ويعتبر تحفة فنية رائعة الجمال بهندسته المتميزة وتموقعه داخل بساط نبات بهيج. كما يحتوي على مرافق تابعة له وعلى قاعات واسعة ستخصص لنشاطات اجتماعية وتربوية عديدة ستعود بالفائدة العميمة على كامل أهل البلد. وبجواره كذلك مشروع لبناء معهد الاستقامة للدراسات العربية والإسلامية.

استقبلت الجماعة الوفد بكثير من الترحاب واكرمته بأفخر وأشهى ما تجيد طبخه البيوت الزنجبارية. وقد رافقنا الوفد في زيارته للمسجد حيث اطّلع عن كَثَب على كل الأعمال القائمة به وتلقى الشروحات اللازمة من الإخوان المسؤولين والمشرفين على متابعة أشغال البناء فيه. كما التقط صُوَرا لأجنحته المختلفة قصد عرضها على المسؤولين في الوزارة المعنية أثناء إعداد تقرير عمله.

وقد حررت الجماعة هنا رسالة ضمنتها تصورها للمشروع ومطالبها فيما ينقص ويراد استكماله فقرأتها على الوفد وسلمتها إياه لينقل إلى المسؤولين بعمان.

هكذا انهى الوفد رحلته بعد أن مكث يوما كاملا ليغادر الجزيرة في اليوم الموالي.

شكشك-الجزيرة الخضراء

01 ذو القعدة 1419هـ/ 19 فيفري 1999

عرس في الجزيرة الخضراء

يوم الخميس 13 ماي 1999م كنت على موعد لحضور وليمة زفاف أحد الإخوان من الجماعة الإباضة هنا، وكان ذلك في وجبة للغذاء، فمن خلالها اطلعت على ما تكتنفه هذه المناسبة السعيدة من عادات الناس وتقاليدهم فيها.

بعد صلاة الظهر سرت برفقة بعض الإخوان إلى المنزل المعد للمناسبة، حيث يستقبل المدعوون في قاعة متوسطة الحجم، وبعد أن يلتئم الحضور يطلب منهم أن يحلقوا جماعات جماعات متكونة من أربعة أشخاص، لتقدم لهم الوليمة المتمثلة في طبق الأرز مع قطع اللحم ومشروب فاكهة المانجو.

وقد كان عدد الحاضرين يتراوح بين الخمسين إلى الستين.

بعد الفراغ من الوليمة يقوم الجمع ليباركوا أهل العرس ثم ينصرفوا.

وأسجل هنا أن مجمع الرجال كان بمنأى عن كل اختلاط أو لقاء بمجامع النساء اللاتي بدورهن يجتمعن في مكان آخر للفرح بعرسهن.

في ليلة هذا اليوم بعد صلاة العشاء بالمسجد حضرت حفل تتويج العريس وعقد القران الشرعي، وهو يتمثل في حضور العريس ووليه وولي العروس إلى المسجد، بعد أن ينبه الناس ويدعو لحضور هذا المشهد مسبقا.

يجلس العريس في صدارة المجلس وهو يرتدي بدلة عمانية كاملة الأجزاء، بأزهى ألوانها وأحلى حلاها؛ من الدشداش الناصع البياض إلى الطاقية المزركشة والبرنوس المطروز والعمامة الملفوفة فوق الطاقية.

فيتولى بعض الإخوان وبعض الطلبة إلقاء كلمات تهنئ العريس بزفافه وتبين له واجباته الزوجية وما ينتظره من مسؤوليات وحقوق تجاه أسرته ووالديه ومجتمعه.

ثم يتولى شيخ المسجد عقد القران بعد أن يستمع إلى قبول العريس وقبول ولي العروس بالزواج، وما لفت انتباهي وجعلني مستغربا أن طريقة عقد القران ونص العقد ذاته فيهما تشابه وتطابق كبيرين لما هو عليه الحال في عقد القران بوادي ميزاب.

بعد ذلك توزع على الحضور أطباق من الحلوى الزنجبارية البنية اللون اللذيذة الطعم في جو من الفرح وتبادل للابتسامات والتهاني. ثم يختم الحفل بتلاوة آيات قرآنية، ثم يقوم الجمع لمباركة العريس وأهله، وهكذا ينتهي الحفل، ويتوجه العريس مع بعض رفقائه للزفاف بزوجته وهكذا تتم هذه المناسبة السعيدة.

ومما لاحظته وعرفته من الإخوان أن مراسيم الزواج هنا تتم بكثير من البساطة وبأقل قدر من التكاليف والمصاريف؛ مقارنة لما هو متعارف عليه هنا أوهناك من البلدان العربية والإسلامية.

شك شك. الجزيرة الخضراء: 20 ماي 1999م



مأدبة عشاء في إقامة وليمة يحضرها الطلبة

حول رحلتي الشيخ أبي اسحاق إبراهيم اطفيش إلى جزيرة زنجبار

سأحاول في هذا المقال أن أضع اليد على ما وقفت عليه من معلومات حول الرحلتين اللتين قام بهما الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش إلى جزيرة زنجبار، وذلك بحسب ما توفر لدي من مصادر ومراجع.

1 - تاريخ الرحلتين:

زار العالم الجزائري الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش جزيرة زنجبار في بحر سنة 1948م ، ثم زارها للمرة الثانية في حدود سنة 1956م. أما بالنسبة لتاريخ الزيارة الأولى فإننا نجد صاحب كتاب "جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار"[1] يشير إلى هذه الرحلة موثقا لها وينكر تاريخها الهجري بالتحديد سنة 1367، ويدون في مؤلفه أبياتا قالها الشيخ أبو إسحاق واصفا جمال زنجبار وروعتها طبيعتها.

وممن أثبت صحة هذا التاريخ كذلك الشيخ حميد بن عبد الله

---

(1): سعيد بن علي المغيري: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق: محمد علي الصليبي، ط2، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1406/ 1987، ص87

البحري[2]؛ فقد ذكر لي أنه التقى مع الشيخ أبي إسحاق في الرحلة الأولى وكذا في الرحلة الثانية وحدد الرحلة الأولى في سنة 1948 أيام كان طالبا والرحلة الثانية سنة 1956 أيام كان معلما.

مما يبدو أنه لم يمكث في زنجبار في رحلتيه هاتين مدة طويلة؛ فقد ذكر لي الشيخ حميد أن بقاءه في كل منهما كان في حدود الأسبوعين، فقد نزل ضيفا عند عائلة الشيخ سعيد بن سالم الرواحي فكان مأكله ومشربه عندهم، إذ من الأقدار الغريبة والجميلة في ذات الوقت أني وأنا أبحث وأسأل الاخوة الزنجبارين عن آثار الشيخ أبي إسحاق فإذا بأحد الأساتذة يدلني على الشيخ سعيد هذا ويقول أنه قد قدم من عمان في زيارة لزنجبار وهو ممن عمر طويلا في زنجبار ورحل عنها راجعا إلى عمان بعد الأحداث السياسية المتزامنة مع الانقلاب على السلطنة الزنجبارية سنة 1964م، ويقول أنه بالإمكان أن نجد عنده معلومات عن الشيخ، وبعد أن عقد الموعد وتم اللقاء فإذا به يخبرنا أن الشيخ أبا إسحاق نزل عنده ضيفا طوال رحلته. ويقول أن هذه القاعة التي نحن جالسون فيها الآن قد آوت الشيخ أبا إسحاق منذ نصف قرن من الزمن[3].

ومما أخبرني به أن عائلته خصصت للشيخ منزلا لإقامته موجود

---

(2): مقابلة شخصية مع الشيخ حميد بن عبد الله البحري (رئيس جمعية الاستقامة الإسلامية التانزانية)، جزيرة زنجبار، جوان 1999م

(3): مقابلة شخصية مع الشيخ سعيد بن سالم الرواحي (أحد وجوه الأعيان في زنجبار)، جزيرة زنجبار، جوان 1999م

في حي يسمى كبوندا kiponda أحد الأحياء وسط مدينة زنجبار، وهو الآن بحوزة أناس آخرين ابتاعوه منهم، وقد طلبت من الشيخ أن يدلني على مكانه فاستجاب لطلبي وأرفقني بأحد حفدته. وشاءت لي الأقدار أن أقف أمام هذا المبنى العظيم الذي كان ذات يوم يأوي بداخله أحد رجالات هذه الأمة العظام، وشاءت لي الأقدار أن أمر بنفس تلك الأزقة الضيقة التي كان يمر بها الشيخ أبو إسحاق وهو ذاهب أو عائد من المسجد أو من حلقات العلم أو من الاجتماعات التي كان يعقدها مع الإخوان هناك. وفعلا فقد تمثلت أمامي في تلك اللحظات هيبة الشيخ ووقاره.

2-نشاطات الشيخ العلمية والاجتماعية في زنجبار:

في حقيقة الأمر ليس لدينا معلومات دقيقة ولا تفصيلية عن أسباب الرحلتين وعن نشاط الشيخ فيهما لكن يبدو أن من أهداف الشيخ الأساسية والأولى هي الاطلاع والتعرف على الجزيرة التي هي موطن من مواطن الإباضية وتمثل جزءا هاما من حضارتها وتراثها، وهذا هو أهم اهتمامات وانشغالات الشيخ وأعماله خلال كامل حياته.

كما أن نشاطه سيتمثل أساسا في تلك الزيارات التي ستقوده إلى ضواحي جزيرة زنجبار ذات المعالم التاريخية الكثيرة والمترامية على كامل أطرافها، هذه المعالم التي هي بقايا للسلطنة الزنجبارية الإباضية التي كان تاريخ تأسيسها في سنة 1832م، وكذا زيارة الجزيرة الثانية المجاورة لها وهي الجزيرة الحضراء المعروفة باللغة السواحلية

بتسمية pe mba فهي لا تقل أهمية ولا جمالا عن الجزيرة الأولى وأن للوجود الإباضي وتراثه فيها مكانه. وقد ذكر لي بعض الإخوان من الجزيرة الخضراء أن الشيخ زارهم وألقى درسا في الجامع الكبير بعاصمة الجزيرة شكشك[4]. كما أن الشيخ قال شعرا يتغنى فيه بهذا الجمال هذه أبياته:

جزيرتكم عناء تزهـو ببهجـة بسندسها المخضر في حسن نظرة
لها ربوات تسحـر اللب والنهى جمالا وصوغا بالأريج وروعـة
فيا هذه الخضراء رفقـا بزائـر ملكـت هـواه واحتللت بمهجـة
سلام عليك ما ازدهوت بدوحـك البواسق يرعـاك الله بـنعمة

وسيتمثل نشاطه كذلك في تلك الدروس التي سيلقيها في شتى مساجد الإباضية وغيرها هناك، وفي تلك الحلقات العلمية والاجتماعات الأدبية التي سيعقدها مع طلبتهم والطبقة المتعلمة لديهم. فمما احتفظت به ذاكرة الشيخ سعيد الرواحي تلك الدروس التي كان يلقيها في بعض مساجد زنجبار، وكذا يذكر أن بعض الناس كانوا يزورونه في منزل إقامته لغرض استفتائه في بعض المسائل الشرعية، ويذكر كذلك أن له مراسلات مع الشيخ حول مسائل فقهية وهي موجودة بحوزته في

---

(4): شكشك أو شاك-شاك البلدة الرئيسية في الجزيرة الخضراء تقع وسط الجزيرة وتمثل المحافظة الوسطى وتعتبر عاصمة الجزيرة إلى جانب المحافظة الجنوبية التي تسمى مكواني والمحافظة الشمالية التي تسمى وت

عمان[5].

وليس من المستبعد أن يكون الشيخ أبو إسحاق قد زار السلطان الزنجباري الإباضي السيد خليفة بن حارب – سلطان زنجبار من سنة 1911 إلى 1960م[6] – في قصره وحضر بعض الاجتماعات التي كان يعقدها أسبوعيا مع أعيان البلد؛ المعروفة لديهم بالبرزة نسبة إلى المكان الذي كان يجلس عليه السلطان إذ يبرز من خلاله للناس ليسمعوا خطاباته ويجيب على انشغالاتهم وهمومهم. خاصه عندما نضع في الحسبان أن الشيخ أبا إسحاق قد قدم إلى زنجبار وهو أحد الأعلام والشخصيات البارزة للإباضية في الجزائر والمغرب بصفة عامة.

مما ذكره لي الشيخ حميد البحري أن من أسباب قدومه في الزيارة الثانية هو نيته التدريس في المعهد الإسلامي الذي كان يتولى تكوين الطلبة الزنجباريين في مجال العلوم العربية، وكان يشرف عليه طاقم إداري بعض أفراده مبعوثين من الأزهر الشريف.

مما يرويه الإخوان أن الشيخ أبا إسحاق لم يزاول التدريس فيه حيث تراجع عن موقفه لعدم حصول التفاهم بينه وبين إدارة المعهد لأسباب لا نعلمها[7]. ومما رواه لي الشيخ حميد البحري أن الشيخ قال

(5): المقابلة السابقة مع الشيخ سعيد الرواحي

(6): سعيد بن علي المغيري: جهينة الأخبار، ص424

(7): ينبغي أن أشير هنا أن الدكتور محمد ناصر –استنادا إلى مراسلات الشيخ أبي إسحاق – يذكر أن سبب رفض الشيخ للتدريس في المعهد الإسلامي

ما معناه: كيف أدرس هؤلاء التلاميذ فإن مستواه ضعيف، فمن الأولى أن أتولى تدريس معلميهم. كما قال: أني ليس باستطاعتي المكوث هنا طويلا لعدم توفر الإمكانات العلمية المساعدة على مواصلة نشاطي في تحقيق التراث الإسلامي والإباضي[8]، لهذا قرر العودة إلى مصر ليواصل اشتغاله في دار الكتب المصرية مع جملة من العلماء الأفذاذ في تحقيق التراث الإسلامي[9].

رغم قلة هذه المعلومات إلا أنها في حقيقة الأمر تمدنا بصورة مقربة نفهم ونلج من خلالها إلى عمق شخصية الشيخ ابي إسحاق، ونعرف بعض مكامنها كالصراحة والشدة والحزم في اتخاذ القرار والمضي في تنفيذه. وكذا نفهم ما لخدمة التراث من قيمة ومكانة لديه.

3- زواج الشيخ من زنجبار:

هذا عن الشيخ ولعل مما يخفى على الكثير جانب آخر ينبغي أن نعرج عليه في الحديث عن علاقة الشيخ أبي إسحاق بزنجبار؛ ألا وهو زواجه من زنجبارية، فيمكننا أن نطرح استفسارات عديدة على هذا العمل؛ ما الدافع إليه ؟ وكيف وأين تم ذلك؟ ومن هي هذه السيدة؟ وهل

هو كون الطلب وجه إليه عن طريق الأنجليز الذين كانوا يفرضون حمايتهم على السلطنة الزنجبارية. (محمد ناصر: الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية-الجزائر، نشر جمعية التراث –القرارة، 1991م، ص31

(8): المقابلة السابقة مع الشيخ حميد البحري

(9): محمد ناصر: المرجع السابق، ص24

تركت آثارا في بلدها؟

دائما نجد أنفسنا واقفين أمام ندرة كبيرة للمعلومات حول كل هذه التساؤلات وغيرها، لكن ما استطعنا معرفته من الإخوان هناك يتمثل ما يلي:

أن زوجته هي السيدة سعادة بنت سالم بن سيف المعمرية، ومما يبدو أن علاقة الشيخ بها كانت عن طريق والدها الذي كان يتنقل مع أسرته إلى مصر لأجل العمل وتدريس أولاده هناك، لهذا فنرجح أن زواجه بها تم هو كذلك في مصر عن طريق تلك العلاقة التي كانت تجمعه بوالدها. ورغم أني طرحت هذا التساؤل على عدد من الإخوان في زنجبار إلا أني لم أجد عند أحدهم إجابة شافية، كما أن بعضهم رجح حصول زواجهما في مصر كذلك.

ويذكر الإخوان أن زوجته السيدة سعادة قد عاشت مع الشيخ في مصر إلى حين وفاته، وبعد ذلك رجعت لتقيم في بلدها زنجبار، كما تدل الروايات أنها قد نالت قدرا من العلوم العربية والشرعية في مصر، وليس ببعيد أن تكون قد تلقت قدرا آخر على يد زوجها الشيخ باحتكاكها المستمر به.

فمن الأنشطة التي قامت بها وذكرها لي الشيخ حميد البحري صلاتها التراويح بالنساء في أيام رمضان وإلقائها للمواعظ والدروس عليهن في زنجبار، ثم انتقالها إلى بلدة ممباسة الكينية لغرض مواصلة

نشاطها الدعوي في المجال النسوي[10].

هذا ما تسنى لي جمعه عن علاقة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش بجزيرة زنجبار، ولعلي بهذا أفتح المجال لمن له معلومات أخرى وإضافات يزكي بها ويقوم ما ذكرناه في هذا المقال لنسهم جميعا في تدوين تاريخ أحد أعلام الإسلام والجزائر.

القبة–الجزائر العاصمة

الإثنين 10 جمادى الثانية 1420هـ/ 20 سبتمبر 1999م

(10): المقابلة السابقة مع الشيخ حميد البحري



منزل إقامة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش في زنجبارخلال رحلته إليها

آثار الحضارة الإسلامية العمانية في المجتمع الزنجباري

إن النازل على جزيرة زنجبار في زيارة أو إقامة بين أظهر سكانها لمدة قصيرة كانت أو طويلة يلحظ منذ الأيام الأولى أن للحضارة العربية الإسلامية والعمانية بوجه أخص بصماتها التي لا تخفى على العيان، ووجودها المتجدر في أنحاء عديدة من الحياة اليومية لهذا المجتمع وفي أنماطهم المعيشية، وكذا في عاداتهم وتقاليدهم التي يمارسونها في مناسبات الأفراح والأطراح.

فعلى مستوى الزي المرتدى نجد في لباس الرجل الزنجباري القميص المعروف بالدَّشداش والطاقية المزركشة ذات الألوان المختلفة، وكذا ذلك الرداء الداخلي الذي يلفه الرجل تحت قميصه، فكل هذه الملابس ذات أصول عمانية، وهي إلى حد اليوم مما يتميز بها الرجل العماني ويرتديها في بلده، فنجد الرجل الزنجباري قد انطبعت في تقاليده هذه الألبسة وأصبح يرتديها في مختلف المناسبات، كما أنها تمثل لباسه المفضل في ذهابه إلى المسجد، وفي أوقات استراحته بعد انتهائه من أعماله اليومية، وفي جلوسه بين أفراد أسرته. فإن الزائر لزنجبار يشاهد الناس في المساء بعد الفراغ من أعمالهم يخرجون جماعات بهذا المظهر لقضاء مختلف مآربهم، وكذا يتجالسون هنا

وهناك بنفس هذا اللباس، كما نشاهد مثل هذه المناظر الجميلة في عطلة نهاية الأسبوع.

هذا عن الرجل أما عن المرأة ففي لباسها كذلك آثار الحضارة العربية الإسلامية؛ ويظهر ذلك بوجه أخص في ذلك الحجاب ذي اللون الأسود الذي ترتديه، وكذا في خمارها الذي يحمل نفس اللون وفي طريقة ارتدائها للنقاب، فهن في ذلك لا يختلفن عن المرأة العربية في إحدى بلدان الجزيرة العربية وبوجه أخص في عمان.

هذا عن الزي فإذا انتقلنا إلى أنماط الهندسة المعمارية التي هي عليه العاصمة زنجبار وبعض المناطق من المدن في الجزيرة الخضراء وفي عاصمة تانزانيا دار السلام فإننا نشاهد تلك الهندسات العربية للبيوت؛ التي من عادتها أنها تحتوي على جناح خاص بالرجال وآخر بالنساء، ويكون الفصل شبه تام بين الجناحين مراعاة للحرمات التي شرّعها الإسلام، كما نجد في كل بيت قاعة مخصصة للضيوف والمرافق التابعة والمكملة لها، وهذه دلالة على ما يعرف به العربي من استقبال وإكرام للضيف، وقد ورث عنه وتأثر به أخوه الرجل الزنجباري.

وإذا انتقلنا إلى آداب الطعام ووقفنا عندها نجد بصمات المسلمين والعمانيين فيها كذلك، فما هو معروف من عادات العمانيين من المحافظة على غسل اليدين قبيل تناول الطعام بإحضار الماء في آنية إلى المأدبة أو إلى جوارها، وكذا الجلوس على الأرض وتناول الطعام باليد، واستعمال اليد اليمنى لوحدها في كامل الوجبة دون إشراك لليد اليسرى ولو كمساعِدة، إلا في بعض الحالات الضرورية، كل هذا

وغيره مما هو معروف لدى العمانيين نجده في زنجبار تلتزم به الكثير من العائلات. وتطبقه بحدافره وأحيانا تذهب إلى حد المبالغة.

وفي هذه النقطة دائما نجد في عادات الزنجاريين تناول حلوى حمراء إلى بنية اللون في مختلف المناسبات لديهم وهي ضرورية الحضور في اجتماعاتهم وهي محبوبة لدى كل الناس، إن هذه الحلوى ذات أصول عمانية كذلك ويلقبها البعض بالحلوى العمانية، ونفسها معروفة ومستهلكة في عمان.

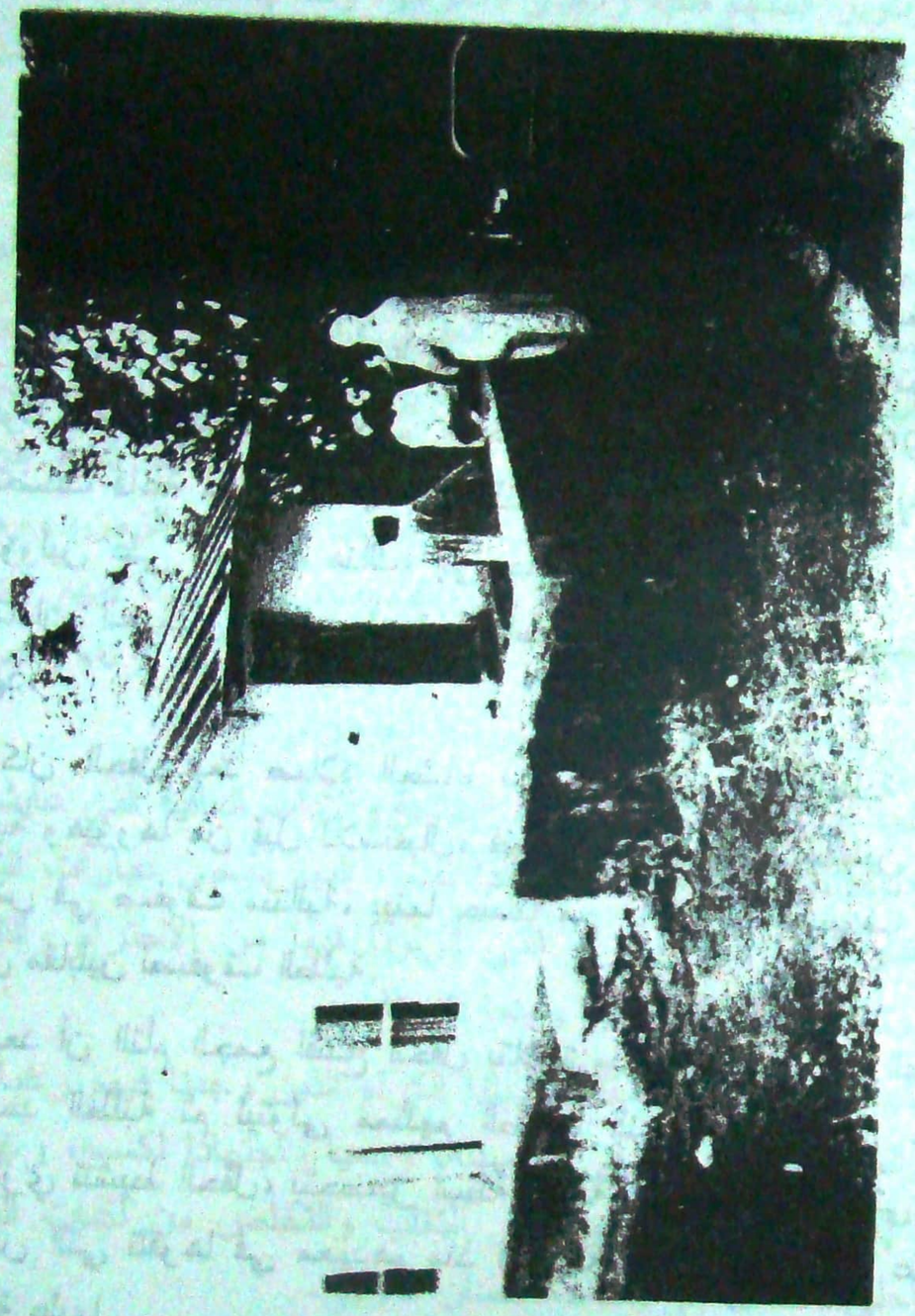
كما أن المسلمين العرب قد تركوا آثارهم في لغة الزنجباريين، إذ تتشكل اللغة السواحلية - التي هي لغة العديد من البلدان المجاورة لزنجبار- من أصول عربية تصل إلى نسبة 50 بالمائة أو تزيد، كما أن الكثير من الكلمات -خاصة المتعلق بها بالدين الإسلامي- أخذت كما هي من اللسان العربي ولم يحدث فيها أي تحريف. وللعلم أن اللغة السواحلية ذاتها كانت إلى العهد القريب تكتب بأحرف عربية، وفي الآونة الأخيرة تحول كتابتها إلى الأحرف اللاتينية وكانت أيادي الاستعمار خلف هذا العمل.

ومما ينبغي أن أشير إليه هنا أن ما ذكرته سالفا لا يقتصر فقط على بقايا الوجود العربي في زنجبار دون غيرهم، بل إن ذلك يشمل جزءا هاما من أفراد المجتمع الزنجباري ككل، سواء العرب منهم أو الأفارقة، كما أن هذا لم يقتصر على أتباع مذهب معين دون آخر؛ بل يشمل أفراد المجتمع على اختلاف مذاهبهم.

إذن بوقوفنا على هذه الجوانب التي أوضحنا من خلالها علاقة التأثير والتأثر بين الإسلام وزنجبار نرى هذا الإرث الحضاري الذي

تركه العمانيون وغيرهم من المسلمين عندما قدم أفرادهم ذات يوم لأجل تبليغ رسالة الإسلام ونشر قيمه الفاضلة وغرس أخلاقه السامية في قلوب هؤلاء الأفارقة الذين كانوا قبائل متناثرة ومتآكلة ليس لها ذكر في مسيرة التاريخ. ونرى ما لأهمية الإسلام وفضله على الشعوب عندما يقدم إليها وهو في زمن القوة والعزة والعطاء؛ فإنه يحمل بين جناحيه أسباب التمكين وأسباب قلب المجتمعات رأسا على عقب وتغيير حالها نحو الأفضل والأخير.

الجزائر في: الأحد 16 جمادى الثانية 1420/ 26 سبتمبر 1999م



مسجد للاستقامة في الجزيرة الخضراء

حفل الوداع

أقامت جماعة مسجد شكشك بمناسبة اقتراب موعد مغادرتنا للجزيرة بعد انتهاء مهمتنا التعليمية بمعهد الاستقامة حفلا تكريميا شرفونا به، وذلك في الأيام الأخيرة من شهر جوان 1999م، واحتضنت قاعة مكتبة المعهد هذا التكريم، وقد حضره جلّ الاخوان المسؤولين على الجماعة هناك، إلى جانب طلبة المعهد بأكملهم، وكذا الأستاذان العمانيان اللذان قدما لمواصلة مشوار التعليم بعدنا في المعهد.

كان الحفل بعد صلاة العشاء مباشرة حيث أعد الطلبة قاعة المكتبة وهيؤوها من قبل للاستقبال، فتوسطوا هم القاعة جالسين على الأرض في صفوف متتالية، بينما جلسنا مع الإخوان الضيوف على كراسٍ مقابلين لصفوف الطلبة.

بعد أن التأم الجمع افتتح الحفل بتلاوة مباركة لبعض آي القرآن من أحد الطلبة ثم ليتولى ممثلهم الطالب النجيب محمد بن عمر الشيرازي تنشيط الحفل، بتحضير أسئلة علمية حول مواضيع شتى من الدروس التي تلقوها في معهدهم منذ انطلاقة السنة، ويطرحها عليهم للإجابة عليها.

تخلل هذا النشاط كلمات للإخوان نوّهوا فيها بمجهوداتنا في سبيل تعليم وتنوير أبنائهم طلبة زنجبار وتانزانيا. وكذا بالعلاقات المتينة التي أصبحت تجمع بيننا بعد هذه العِشرة، كما كان أسفهم كبير لمغادرتنا لجزيرتهم، وقد تولىّ إلقاء كلمة نيابة عنهم الطالب سالم الطيواني أحد طلبة معهد العلوم الشرعية في سلطنة عمان والذي قدم إلى الجزيرة في هذه الآونة الأخيرة في إجازة نهاية السنة لغرض زيارة بلده وأهله، وهو ممن بدأ يُسهم في النشاط العلمي والاجتماعي هنا بالجزيرة. وبالمناسبة أعطيت لنا الكلمة أنا والأخ يوسف لنعبر بدورنا عماّ يختلج صميم قلوبنا ومكامن نفوسنا من مشاعر فياضة جياشة تجاه هؤلاء الناس الذين قضينا بينهم ما يقرب من نصف سنة من الزمن، ووجدنا فيهم كل معاني الأخوة في الله وفي المذهب، كما وجدنا فيهم البدائل عن الأهل والأحباب ووجدنا في جزيرتهم بدلا عن جزائرنا، رغم أن لا هذا ولا ذاك مما يمكن أن يُـبدّل أو يُعوّض.

كما عبرنا عن تلكم الأخلاق السامية والآداب العالية التي عايشناها وشاهدناها لدى هؤلاء الناس، وكذا تقدمنا إليهم بأسمى عبارات الشكر والامتنان على تلكم المنزلة التي أنزلونا فيها من الاحترام والتقدير ومن رفعة المقام حيثما ولينا وأينما اتجهنا.

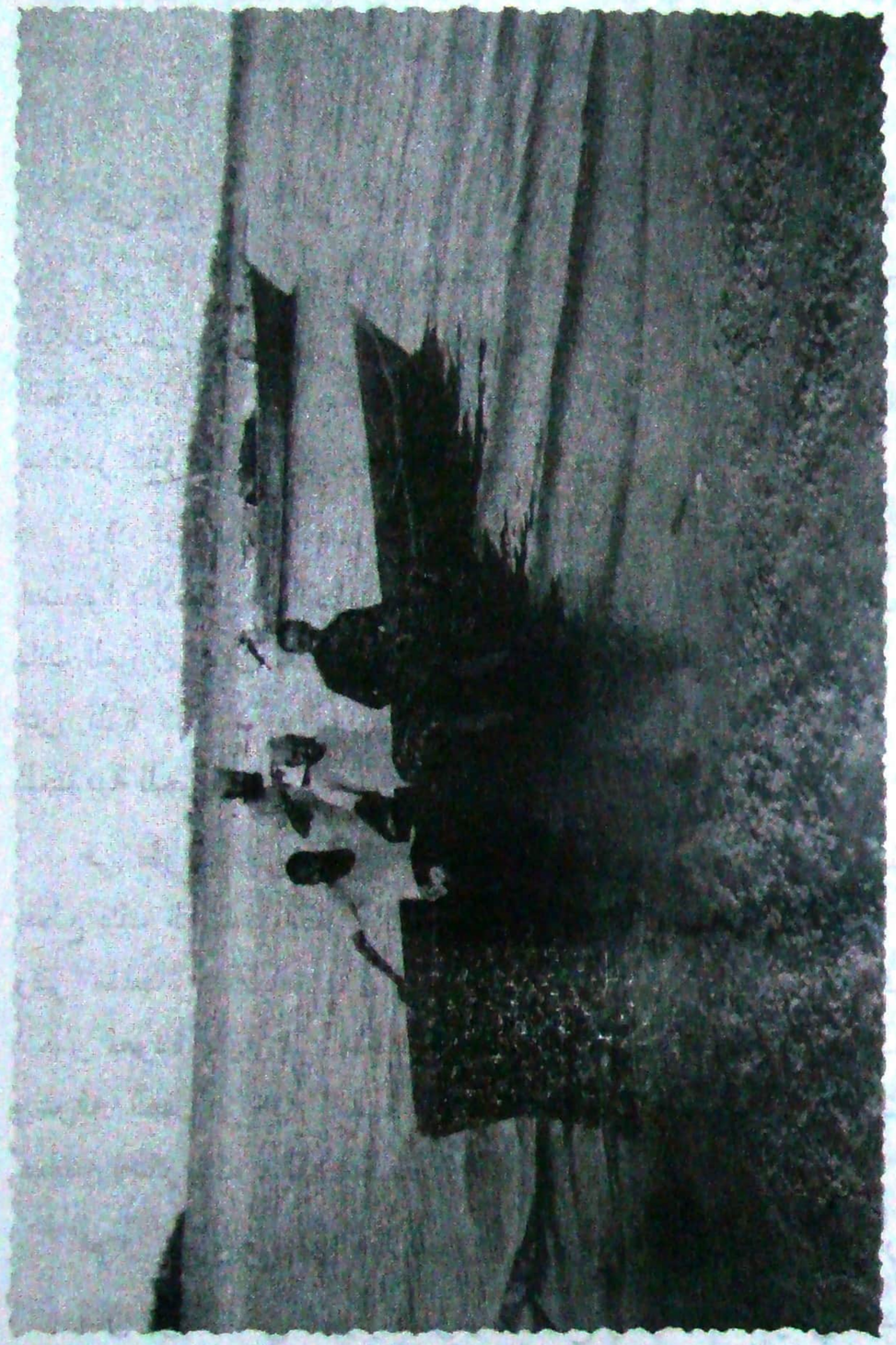
كما تقدمنا بكلام مماثل لطلبتنا الكرام الذين وجدنا فيهم رغبة في تلقي العلم ولهفة شديدة في تحصيله، وسعيا واجتهادا لكسبه، رغم ما كانوا يعانون به من صعوبة في التغلب والتخلص من لكنات اللسان السواحلي للانتقال إلى فصاحة اللسان العربي.

وفي ذات الوقت ما وجدنا فيهم من أخلاق طلبة العلم في التعامل مع أساتذتهم ومع من يتولى ويشرف على تدريسهم وتسيير شؤونهم. كما قدمنا لهم ما يفيدهم من نصائح وتوجيهات في مواصلة مشوارهم العلمي لخدمة دينهم ووطنهم مستقبلا.

هكذا بعد هذه الكلمات المتبادلة التي كان منبعها القلب ثم مآلها ومستقرها إليه. في جوّ إيماني وفي نفحات ربانية احتُفل فيها بالعلم وكُرِّم فيها العلم، بعيدا عن كل مطامح مادية أو أدناس أَرضية، شعر فيه الجميع برفعة هذا المقام وصفوته، وبقضاء لحظات زكت فيها الأرواح واستُـلَّت من أجسادها لتعيش وتلتقي في ملكوت سماوي خالص.

انتهى هذا الحفل بتناول مشروبات ومرطبات فُرِّقت على الجميع مع تجاذب أطراف الحديث وتبادل للابتسامات. بعدها قام الجمع لأخذ صور جماعية وثنائية مع الطلبة والأعيان، لتبقى شاهدة أبد الدهر على قلوب تلاقت ذات يوم على صفاء الإيمان ومائدة العلم. وأمضت مع بعضها لحظات سجلت خلودها في ذاكرة كل من عاشها وعايشها.

الجزائر في تاريخ: 26 ذو الحجة 1420هـ/ 01 أفريل 2000م



رحلة على سواحل زنجبار

رحلة العودة

كان تاريخ الإثنين 21 ربيع الأول 1420هـ/05 جويلية 1999م آخر يوم لنا – أنا والأخ يوسف- في الجزيرة الخضراء حيث قمنا بتوديع كل من عرفناه من إخوان وأحباب الصفاء الكرماء لنغادر الجزيرة الخضراء تجاه جزيرة زنجبار ومنها إلى دار السلام حيث سنغادر تانزانيا جوا راجعين إلى بلدنا الجزائر.

وقد شعرنا في هذه الساعات الأخيرة أن أهلها ممن عرفناهم قد أصيبوا بالاكتئاب والحزن جراء هذا الحدث. قدمت سيارة الجمعية إلى باب المنزل لتنقل أمتعتنا وتحملنا إلى الميناء الذي يبعد بمسافة 20 كلم عن بلدة شكشك والموجود في البلدة الساحلية مكواني في الحدود الجنوبية للجزيرة.

في طريقنا إلى الميناء بعد أن خرجنا من حدود بلدة شكشك ونحن نقطع تلك الغابات الكثيفة المحيطة بنا كنت غارقا في تأملات وجدانية وفي مناجاة داخلية أسأل فيها نفسي وتسألني هل يا ترى في القدر ادّخار لعودة ثانية إلى هذه البقاع البعيدة للوقوف على ما شاهدته العين وعرفه العقل وأحبه القلب من مشاهد جملية ممتعة وعلاقات أخوية حميمة وذكريات خالدة مجيدة

أم أن خروجي من هنا سيكون بلا رجعة إلى الأبد. من يدري..؟

كان برفقتنا في السيارة لتوديعنا الأخ وحيد الحضرمي أحد الوجوه البارزة للإخوان الكرماء الذين كانوا بجانبنا طيلة إقامتنا في الجزيرة،

هذا الرجل المجاهد الذي وهبه الله الإخلاص في العمل وحب الخير والتضحية في سبيله دون حساب ولا تعب أو ملل إلى جانب تواضعه وخفة روحه.

وصلنا الميناء لنجد جموعا من المسافرين تنتظر وصول الباخرة القادمة من زنجبار والتي سيكون رجوعنا على متنها. لم يمض الكثير من الوقت حتى استقرت الباخرة بجوار الميناء لتنزل مسافريها وتحملنا وتنطلق بناء داخل البحر مودعين للجزيرة الخضراء وأهلها إلى حيث يشاء الله تعالى.

وصلنا زنجبار وأمضينا فيها يومين زرنا أماكن أثرية من بقايا السلطنة الزنجبارية، وتجولنا في شوارعها ومحلاتها التجارية وأسواقها مقتنين ما يلزم من الهدايا للأهل والعائلة، كما كان لنا لقاء توديعي مع بعض أساتذة معهد زنجبار، وكذا قمنا بزيارة بعض طلبته في داخلياتهم.

يوم الأربعاء مساء كنا على موعد مغادرة جزيرة زنجبار تجاه دار السلام عن طريق البحر دائما، لنصلها في حدود المغرب ونجد الأخ زاهر الإسماعيلي -أحد مسؤولي الجمعية وممن رعانا ووقف بجنبنا أكثر من مرة في قضاء بعض الأمور الإدارية فجازه الله عناّ خيرا كثيرا- في انتظارنا لينقلنا للمبيت في أحد الفنادق وسط البلد.

أمضينا في العاصمة دار السلام ثلاثة أيام التقينا فيها بجمع من الإخوان الكرماء الذي كانت لنا معرفة بهم من ذي قبل مودعين إياهم وآملين لقياهم في فرص ومناسبات قادمة.

ومما ينبغي أن أسجله ليبقى شاهدا خالدا في تاريخ أهل زنجبار

وفي حق أحد إخواننا الكرماء ألا وهو الشيخ ناصر خليفة الحضرمي أحد وجوه الأعيان ومسؤولي الجمعية هنا، هذا الرجل الذي تفضل الله عليه بخيره الواسع وهداه لأن يصرفه في مواطنه، وهداه لأن يجعله وسيلة لنفع الخلق وعمل الخير لادخار الأجر والثواب عند ربه.

فقد تفضل الشيخ ناصر خليفة بضيافتنا في منزله خلال هذه الأيام الثلاثة وسعى معنا كل السعي لأجل القيام بعدة أمور متعلقة بسفرنا، ولولاه ولولا مجهوداته الجبارة -بعد فضل الله تعالى- لما تمّ سفرنا بسلام ولتأخر موعده بأسبوع على الأقل، فندعو الله أن يجعل سعيه هذا في ميزان حسناته.

ففي منزلـيه عرفنا كل المعاني السامية لإكرام الضيف وتوفير وسائل الراحة والإقامة المريحة له، كما عرفنا فيه كل معاني التواضع وطيبة القلب وبشاشة الوجه رغم ما منّ الله عليه من مركز اجتماعي ومادي رفيع. يجعل عادة من أمثاله يتخلون عن مثل هذه الأخلاقيات الإسلامية النبيلة.

كما كان له الفضل في سعيه معنا باتصالاته وعلاقاته السامية مع مسؤولي الدولة في تانزانيا وزنجبار لنتحصل على تأشيرة الدخول إلى الأراضي المصرية في وقت تعطّل أشغال السفارة المصرية بسبب عطلة نهاية الأسبوع، ثم كان له الفضل لنركب الطائرة لتُـقلّنا إلى القاهرة، بعد أن قررت السلطات في مطار دار السلام في اللحظات الأخيرة قبل موعد انطلاقها حرماننا من السفر لعدم تحصلنا على بعض الوثائق المتعلقة بالإقامة.

وفي هذه المدة التي قضيناها بالعاصمة سمحت لنا الفرصة

بالتجول أكثر في دار السلام والتعرف على عادات أهلها والاطلاع على أنماط عيشهم.

كما حالفنا الحظ لحضور حفل أحياه المسلمون في دار السلام بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف. فقد أقيم في قاعة رحبة ضمّت ممثلين لكل الفرق والطوائف المسلمة التي يربو عددها من العشرة، والتي تتشكل من الجنس السواحلي والعربي والهندي.

نُـصّبت في صدارة القاعة منصة جلس فيها عدد من الوجوه البارزة من كل هذه الفرق، التي جمعت بين المذاهب السنية والشيعية والإباضية على صعيد واحد. وكان بين الحين والآخر يقوم أحدهم ليلقي كلمة تأبينية أو موعظة أو حديثا عن مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان بين الحين والآخر تتقدم بعض المجموعات الفنية لأداء قصائد وأناشيد مادحة للرسول صلى الله عليه وسلم ومشيدة بأخلاقه وأعماله.

كما اصطفت جموع كثيرة من الناس المدعوة إلى هذا الحفل البهيج من كل الأجناس والطوائف المسلمة جالسين على الكراسي في صفوف متالية، كل بزيه المتميز وبلباسه الأصيل الدال على حضارته وانتمائه وجذوره.

وبهذا ضرب لنا المسلمون التانزانيون أروع مثل وأجمل شكل للالتقاء والوحدة على صعيد واحد وتحت راية واحدة وشعار واحد هو الإسلام، رغم ما يوجد بينهم من تباين واختلاف في المذهب والجنس والأصل.

فيا لها من روعة وعبرة لمن يعتبر من المسلمين ...؟

كان لنا هذا الحفل آخر محطة في دار السلام لنغادرها في الساعة الصفر من ليلة الأحد 27 ربيع الأول 1420هـ/ 11 جويلية 1999م تجاه العاصمة المصرية القاهرة.

شاءت لنا الأقدار أن نمكث حوالي أسبوعين في مصر واقفين على بعض معالمها وآثارها الحضارية ثم لنغادرها تجاه بلدنا الجزائر ونصله في حدود الساعة التاسعة ليلا من يوم الجمعة 10 ربيع الثاني 1420هـ/ 23 جويلية 1999م. وبذلك تنتهي هذه الرحلة الخالدة من حيث بدأت.

الجزائر في: 05 محرم 1421هـ / 10 أفريل 2000م

خـــاتمة

بعد هذه الرحلة التي حاولت فيها أن أطوف بالقارئ الكريم في أرجاء دولة تانزانيا وجزيرة زنجبار والجزيرة الخضراء، أرجو أنه قد استمتع معي بما شمله الكتاب من أوصاف لما وهب الله تعالى هذه المناطق من نعم وخيرات غادقة، بعضها تنزل من السماء وآخرى تخرج من الأرض.

كما أني حاولت أن أستعرض جوانب عديدة من أوجه الحياة فيها، فأرجو أني قد وفقت في رسم صورة واضحة لدى القارئ الكريم حول هذا المجتمع المسلم في صراعه مع الحياة وفي محافظته على إسلامه وعلى مقومات شخصيته.

كما أرجو أني قد عرفت القارئ الكريم على المسلمين عامة في هذه البقعة من العالم الإسلامي؛ وعلى الفئة المتمثلة في الإباضية بوجه خصوص، التي يجهل عنها الكثير كل شيء ولا يكاد يصله من أخبارها إلا النزر القليل وعادة ما يشوبه الغموض، فحاولت أن أزيح هذه الضبابية وأستبدلها بالوضوح والجلاء.

كما أرى من المناسب في نهاية هذا البحث أن أدعو القارئ الكريم إلى إعانة إخوانه المسلمين في هذا البلد الناشئ الذي هو في أمــسّ الحاجة إلى كل من يمدّ له يد المساعدة والعون ولو بالكلمة الطيبة، حتى يستردّ مجده ويقف على رجليه من جديد بثبات وقوة، ليمضي في رسم مستقبله بكل عزم نحو بناء المجتمع الــمسلم على أسس من الدين والعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محتويات الكتاب

المقدمة ---------- 5
الرحلة إلى زنجبار ---------- 9
أيامي الأولـــى في عاصمة تانزانيا دار السلام ---------- 16
جزيرة زنجبار ---------- 23
الجزيرة الخضراء ---------- 31
أضواء على أعماق المجتمع الزنجباري ---------- 38
وقفة تعريفية للإباضية ---------- 45
تأريخ مشروع المسجد الجديد للإباضية في العاصمة دار السلام ------- 52
الفكرة الماسونية تحل ضيفا مزعجا على المجتمع الإباضي في تانزانيا -- 55
جمعية الاستقامة الإسلامية التانزانية ---------- 60
جولة في عمق الجزيرة الخضراء ---------- 65
معهد الاستقامة للدراسات الإسلامية بزنجبار ---------- 70
مدارس التعليم القرآني في زنجبار ---------- 78
صلاة الجمعة في الجزيرة الخضراء ---------- 87
عالم عماني في زيارة تفقدية لإباضية زنجبار ---------- 90
علاقة صفاء ومودة مع زنجباري ---------- 94
وفد عماني يزور بلدة شكشك ---------- 99
عرس في الجزيرة الخضراء ----------101
حول رحلتي الشيخ أبي اسحاق إبراهيم اطفيش إلى جزيرة زنجبار -----104
آثار الحضارة الإسلامية العمانية في المجتمع الزنجباري ----------113
حـفـل الـــوداع ----------118
رحلة العودة ----------122
خاتمة ----------127

هذه المذكرات

شاءت الأقدار أن تحملني إلى بلاد زنجبار لأقف شاهدا على مجتمع يعيش لحظات استيقاظه وانطلاقته في دورة حضارية جديدة، لبناء مجتمع مسلم قائم على أسس الأخلاق والعلم.

ففي هذه المذكرات سيقف القارئ الكريم على جوانب خفية من حياة المجتمع في زنجبار وتانزانيا، وسيكتشف أسرارا عديدة في تعاملهم مع ظواهر الحياة ومفهوم الزمن لديهم.

كما سيكشف الفرق الدقيق بين الحضارة بمفهومها الغربي، التي تعني المدنية بمختلف أبعادها، وبين مفهومها الشرقي التي تعني القيم والأخلاق وراحة البال وبساطة العيش. المنبعثة أساسا من فطرة الإنسان وجبليته.

كما سيشاهد صورا حية للتسامح والتعايش الديني والعرقي والمذهبي، الذي يعد من المعضلات الإنسانية في الوقت الحاضر في الكثير من بلدان العالم.

المؤلف